

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: 1433067653

العمران عند ابن خلدون بين الحقيقة التاريخية والنظرية الفكرية الإسلامية

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في:

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

شعبة: التاريخ

إشراف الدكتور:

محمد موشموش

إعداد الطالبة:

نور الهدى معوش

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	النذير قوادريّة	أستاذ محاضر - ب	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	رئيسا
02	محمد موشموش	أستاذ محاضر - أ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مشرفا ومقررا
03	إبراهيم مرزقلال	أستاذ محاضر - ب	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

-إهداء-

أهديه ثمرة جهدي إلى كل من كلفه الله بالهبة والوقار وعلمني العطاء دون انتظار
إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من انحنى لأجل استقامتي واجتهد لأجلي فرحتي
إليك يا والدي الغالي، إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها ولو كان السجود لغير الله
لسجدت لها أُمي الغالية، إلى قرة عيني وتاج رأسي زوجي الغالي إسماعيل الذي وقف
معي وشجعني لإكمال هذا البحث ووالده محمد ووالدته وأخته شيماء وأخيه عمر.
إلى من كانوا سنداً لي في تخطي عقبات الحياة إخوتي: إدريس وأكرم وأختي حنان التي
كانت لمساتها واضحة في حياتي الدراسية، وإلى جدتي العزيزة وخالتي ثلجة وخالتي
صليحة وزوجها إسماعيل، وإلى أخوالي: السعيد وخليفة وجمال وأبوبكر ورشيد، وإلى
عمي سعيد، وإلى ابنة خالي حليلة، وابن خالي كريم.
وإلى نجوم سماء أسرتي: عائشة وإسلام ومرام وسجود ورياض وسيرين ومصطفى وفردوس
وخديجة وموسى وسلمى، وإلى رفيقة الدرب وأنسة العمر وربحانة القلب آمال وابنها.
وإلى من تحلوا بالإخاء وكانوا رمزا للصدقة والوفاء صديقاتي: لميس وسمية وزينة وإكرام
وبشرى وحياة وكريمة.

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بابتسامة

-شكر وعرفان-

عملاً بقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ سورة البقرة- الآية 152.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ »

أشكر الله عز وجل على توفيقه لنا إذ كان لنا خير معين فله الحمد والثناء

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف محمد موشموش لما أسهم به من توجيهات وملاحظات ساعدتنا في إنجاز هذا العمل كما لا أنسى كل من علمني حرفاً من المعلمين والأساتذة بداية بالتعليم الابتدائي وانتهاء بالجامعي، وإلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر هنا الدكتور النذير قوادرية وإلى كل أعضاء لجنة المناقشة المحترمين.

مقدمة

- مقدمة:

لقد بلغت شهرة ابن خلدون كل الآفاق باعتباره أحد أشهر رواد علم الاجتماع في التاريخ إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق، لأنه متفرد في نظريته وأسلوبه وتحليله للظواهر الاجتماعية بطريقة علمية وموضوعية، تنم عن مدى اطلاعه وسعة علمه، كما تعبر عن البيئة التي عاش فيها، والتي كان لها الدور الكبير في صقل مواهبه وتكوين شخصيته، وغزارة إنتاجه العلمي، وتفرد به بعض النظريات الاجتماعية، كما كان له السبق في معالجة بعض المواضيع قبل غيره من علماء الاجتماع بعدة قرون.

- التعريف بالموضوع وأهميته:

لقد تعاقب على العالم الإسلامي بصفة عامة والمغرب الإسلامي بصفة خاصة العديد من العلماء الأفاضل الذين تركوا بصمتهم العلمية، وعرفوا بالتميز في والنبوغ في تخصصهم، وكانت سيرتهم ومسيرتهم مميزة وحافلة بالإنجازات، ومن بين هؤلاء توجد شخصية عبد الرحمن ابن خلدون الذي سيكون موضوع هذا البحث الموسوم بـ: "العرمان عند ابن خلدون بين الحقيقة التاريخية والنظرية الفكرية"

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يتطرق لأحد العلماء الذين أنجبهم بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)، والذي كان له دور كبير في نقل صورة المجتمع الإسلامي خلال الفترة التي عاش بها، كما أسس لعلم الاجتماع ونظر له قبل غيره من علماء أوروبا والمشرق.

- أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعتنا العديد من الأسباب الذاتية والموضوعية لاختيار هذا الموضوع، ويمكن حصرها فيما يلي:

أ- الأسباب الذاتية:

شعورنا بالانتماء الحضاري لهذه المنطقة، وضرورة الاطلاع على تاريخها وتراثها، وأبرز الشخصيات العلمية التي تركت بصمتها، لذلك اخترنا شخصية ابن خلدون وتراثه العلمي المتمثل في المقدمة.

ميولنا الشخصية نحو دراسة السير الذاتية للعلماء البارزين قصد معرفة شخصياتهم والغور في أسرارها ، والوقوف على أسباب نبوغهم وتفوقهم، قصد الاستفادة من تجاربهم.

ب- الأسباب الموضوعية:

ربما من الأسباب الموضوعية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي الشهرة العالمية لشخصية ابن خلدون باعتباره مؤسس علم الاجتماع، وأهمية مؤلفاته العلمية التي تدرس اليوم في كل جامعات العالم، وخاصة كتاب المقدمة.

وكذلك التعريف بهذه الشخصية بطريقة علمية وموضوعية بعيدا عن الذاتية، وإبراز نظرياته في علم الاجتماع لا سيما العمران البشري أو علم الاجتماع، الذي سنركز عليه بصفة خاصة أكثر من غيره.

دراسة نظرية الغالب والمغلوب من وجهة نظر ابن خلدون، والفرق بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري، والتنظيم الإداري المعروف آنذاك والمتمثل في الدواوين، ودورها في تسيير أجهزة الدولة. والتعريف بكتاب المقدمة الذي يعتبر أهم مؤلفات ابن خلدون. استعراض أدواره في الحياة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي من خلال رحلاته والوظائف التي تقلدها، بالإضافة إلى ممارسته لمهنة التدريس والقضاء في مصر لمدة طويلة، وعلاقته بسلطينها، ورحلته إلى أداء فريضة الحج بالبقاع المقدسة.

محاولة معرفة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية التي كانت سائدة في بلاد المغرب الإسلامي ومصر، خلال الفترة التي عاشها فيها ابن خلدون، والتطرق لأهم مميزاتا وخصائصها، أي معرفة البيئة التي عايشها طيلة حياته.

- أهداف البحث:

لقد أردنا من خلال هذا البحث إلى تحقيق بعض الأهداف والغايات ومنها:

- التعريف بشخصية ابن خلدون.
- التعريف بال عمران البشري (علم الاجتماع)
- التعريف بنظام الخلافة الإسلامية من المنظور الخلدوني
- التعريف بالحرف والصنائع التي كانت سائدة في عصر ابن خلدون
- التعريف بأشهر نظريات ابن خلدون ألا وهي نظرية الغالب والمغلوب
- التعريف بالمجتمع البدوي والمجتمع الحضري
- التعريف ببعض العلوم التي تكلم عنها ابن خلدون
- التعريف بالدواوين في عهد ابن خلدون
- إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول دور ابن خلدون في تأسيس علم العمران البشري أو ما يعرف بعلم الاجتماع، من خلال إبراز النظريات والمفاهيم التي جاء بها، وذلك من خلال طرح الإشكالية التالية:

- ما هو مفهوم العمران عند ابن خلدون؟
- ومن أجل استيضاح ومعالجة هذه الإشكالية يجب علينا طرح التساؤلات التالية:
- كيف نشأ وتعلم ابن خلدون؟
- ما هو مفهوم العمران السياسي و الاقتصادي؟

- ماهو العمران الاجتماعي و الفكري؟

- المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- كتاب المقدمة، لابن خلدون، يعتبر أهم مصدر اعتمدنا عليها في هذا البحث، حيث استقيننا منه معظم المعلومات التاريخية الواردة في الفصول الثلاثة.

- كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، الذي يعتبر من أهم كتب التراجم الذي عرفنا على سيرة ابن خلدون وحياته العلمية.

- كتب الماوردي الثلاثة وهي: أدب الدنيا والدين، و الأحكام السلطانية والولايات الدينية، و تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، حيث أفادتنا في استيضاح الأمور الدينية والخلافة والقضاء.

- كتاب لسان العرب لابن منظور، وأفادنا في شرح الجانب اللغوي.

- المراجع:

- كتاب الجابري، محمد عابد، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، لمحمد عابد الجابري، أفادنا في توضيح عنصر العصبية ومفهوم الدولة.

- علم الاجتماع البدوي لصالح مصطفى الفوال، وأعاننا في التقرب للعمران البدوي أو ما يسمى حديثا بعلم الاجتماع البدوي.

- كتاب النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي-دراسة فلسفية واجتماعي-، لعبد الحميد مزيان، واعتمدنا عليه في محور الحرف والصنائع.

- منهج البحث:

للاجابة عن الإشكالية المطروحة اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي من خلال سرد المعلومات التاريخية الواردة في المصادر، وبدرجة أقل المنهج الاستقرائي من خلال جمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتوظيفها بما يخدم أهداف هذا البحث.

- خطة البحث:

لدراسة هذا الموضوع اتبعت خطة مكونة من ثلاث فصول: حيث تناول في كل فصل مجموعة من المحاور، وذلك كما يلي:

الفصل الأول عنوانه بـ"ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران"، وخصصناه للتعريف بشخصية ابن خلدون من مولده وحياته ومؤلفاته، كما عرفنا بكتابه المعنون بالمقدمة، وركزنا فيه على باب العمران البشري، حيث عرفناه لغة واصطلاحاً، حسب تعريف ابن خلدون وبعض اللغويين.

أما الفصل الثاني فقد عنوانه بـ"العمران السياسي و الاقتصادي"، وتطرقنا فيه إلى مفهوم الخلافة الإسلامية، وعلاقة الخليفة بالرعية، وتأثير سياسة الدولة على العمران الاقتصادي، وعالجنا موضوع الحرف والصنائع التي وردت في كتاب المقدمة، وأوردنا بعض الشروحات والنظريات الحديثة حولها.

وعنوانا الفصل الثالث والأخير بـ"العمران الاجتماعي والفكري"، حيث تطرقنا إلى أربعة نقاط بالتفصيل، وهي: نظرية الغالب والمغلوب الشهيرة عند ابن خلدون، والعمران البدوي والعمران الحضري، والعلوم والمعارف بالمغرب الإسلامي من خلال ما ذكره ابن خلدون في مقدمته، واستعرضنا الدواوين والتدوين في القرن الثامن الهجري من خلال كتاب المقدمة أيضاً.

- الصعوبات:

- واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجازنا لهذا البحث نذكر منها ما يلي:
- عدم فهمنا الجيد لماهية هذا البحث في البداية مما جعلنا نتأخر في إكماله في الوقت المناسب.
 - عدم توفر المصادر والمراجع بالشكل الكافي حول بعض محاور البحث.
 - صعوبة الحصول على معلومات جديدة حول شخصية ابن خلدون غير تلك التي أفادنا بها هو شخصيا من خلال كتبه، مما قد يؤثر على الجانب الموضوعي للدراسة.
 - تشابه المعلومات وتكرارها في العديد من المصادر.
- وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف الدكتور محمد موشموش على صبره معنا، ونصائحه وتوجيهاته القيمة لنا، وتوضيحاته المتكررة لنا لفهم ماهية هذا البحث، مما جعلنا نوفق في إكماله والحمد لله.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

1- التعريف بعبد الرحمن بن خلدون

2 - التعريف بكتاب المقدمة

3 - التعريف بمصطلح العمران

تمهيد.

سنعالج في هذا الفصل التعريف بشخصية عبد الرحمن بن خلدون من خلال التطرق لحياته ومؤلفاته والوظائف التي شغلها، والتعريف بكتابه المعنون بالمقدمة، إضافة إلى التعريف بالعمران من الناحية اللغوية والاصطلاحية ومفهومه عند هذه الشخصية التاريخية، وذلك قصد توضيح المفاهيم الرئيسية لهذا البحث.

1- التعريف بابن خلدون.

وقد مرت حياة ابن خلدون بأربعة مراحل رئيسية تميزت كل مرحلة بمظاهر خاصة من النشاط العلمي والعملية:¹

1-1- المرحلة الأولى: النشأة والتلمذة والتحصيل العلمي.

تمتد من ميلاده سنة 732هـ لغاية سنة 751هـ واستغرقت زهاء 20 عاما، وقد قضاها كلها في مسقط رأسه بتونس وقضى منها نحو 15 عاما في حفظ القرآن وتجويده بالقراءات والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم.²

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، ولا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة، ويغلب على الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عددا، فيكونون زهاء العشرين.³

وهو أبو زيد ولي الدين بن خلدون واسمه عبد الرحمن وكنيته أبو زيد ولقبه ولي الدين وشهرته ابن خلدون، فاكسب كنية أبي زيد نسبة إلى ولده الأكبر ولقب ولي الدين بعد توليه القضاء في مصر.⁴

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، ج1 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 2006، ص 27.

² - نفسه، ص 27.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1979، ص 3.

⁴ - نفسه، ص 29.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

وينسب ابن خلدون إلى حضرموت من قبائل العرب اليمنية، حيث قال أبو محمد بن حزم في كتابه الجمهرة: هو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل ابن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي ابن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن هاني، ابن عوف بن جرشم ابن عبد الله شمس بن زيد بن لأي بن شبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لأي بن قحطان، وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن وائل.¹

وقد نشأت هذه الأسرة -بنو خلدون- في مدينة قرمونة Carmon التي استقر بها جدهم ثم نزحوا بعد ذلك إلى اشبيلية، وسطح نجمهم في عهد الأمير عبد الرحمن الأموي (274هـ-300هـ)، وفي عهد ملوك الطوائف شاركوا في معركة الزلاقة التي اتصر فيها المرابطون على ألفونسو السادس ملك قشتالة (479هـ/1086م).²

وكان بنو خلدون في جند اليمن، وكان لكريب من عقبه وأخيه خالد، الثورة المعروفة باشبيلية أيام الأمير عبد الله المرواني ثار على ابن أبي عبدة، وملكها من يده أعواماً، ثم ثار عليه إبراهيم ابن الحجاج، بإملاء الأمير عبد الله وقتله، في أواخر المائة الثالثة. ولم يزل بيت بني خلدون باشبيلية كما ذكره ابن حيان وابن حزم وغيرهما، سائر أثناء حكم بني أمية إلى غاية زمن ملوك الطوائف، وانمحت عنهم الإمارة بعد انكسار شوكتهم.³

ولد ابن خلدون في في غرة رمضان سنة 732هـ/الموافق 27 مايو سنة 1332م، وترى في حجر والده إلى أن أيفع وقرأ القرآن على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد بن بُرّال الأنصاري الأندلسي، وكان إماماً في القراءات، فحفظ عنه القراءات السبع المشهورة إفراداً وجمعاً، وكتاب التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر، ودارس عليه كتباً جمة ككتاب التسهيل لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب في الفقه، وتعلم العربية على والده وعلى بعض الأساتذة كأبي عبد الله بن العربي الحسايري، وأبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي، وأبو

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص 4.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 29-30.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص 6-10.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

العباس أحمد بن الفصّار، وأبو عبد الله محمد بن بحر¹، ولا زالت الدار التي ولد بها معروفة وتقع في أحد الشوارع الرئيسية للمدينة القديمة، والمعروف بشارع تربة الباي، وألصق على مدخلها لوحة رخامية سجل فيها مولد ابن خلدون.²

2.1- المرحلة الثانية: الوظائف الديوانية والسياسية.

وتمتد من أواخر سنة 751هـ إلى أواخر 776هـ واستغرقت 25 عاما، قضاها متنقلا بين متنقلا بين المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وبعض بلاد الأندلس، وشغل خلالها عدة وظائف ديوانية وسياسية استأثرت بمعظم وقته وجهده.³

1.2.1- وظائفه ونشاطه في المغربين الأدنى والأوسط (751-755هـ):

فمنذ أوائل القرن 7هـ كانت دولة الموحدين قد انهارت وقامت على دويلات وإمارات عديدة أشهرها ثلاث دول هي: أولاها دولة بني حفص بإفريقية (المغرب الأدنى وتونس وما إليها) هي التي ولي فيها الجد الثاني لابن خلدون أمر تونس، والجد الأول أمر بجاية، وثانيتهما دولة بني عبد الواد في المغرب الأقصى الذي كانت قاعدته تلمسان، وثالثتها دولة بني مرين في المغرب الأقصى وكانت قاعدته فاس، وكانت أقوى هذه الدول جميعا، وامتد سلطانهم على كل بلاد المغرب أقصاه وأوسطه وأدناه، فانمحت دولتا بني حفص وبني عبد الواد.⁴ وظل ابن خلدون متنقلا بين إمارات المغرب الإسلامي يقيم فيها إذا لقي الإستحسان والإستقرار، ويغادرها إذا أحس بعدم القبول وسوء المعاملة.

3.2.1- وظائفه الديوانية والسياسية بالمغرب الأقصى قبل رحلته الأولى إلى الأندلس (755-764هـ).

لما توفي السلطان أبو الحسن ملك المغرب الأقصى خلفه ابنه أبو عنان الذي جلس له العلمي بفاس وكلفه شهود الصلوات، فقدم ابن خلدون إلى فاس سنة 755هـ حيث عينه في

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، نفسه، ص 18، 19.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 32.

³ - نفسه، 48.

⁴ - نفسه، ص 48.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

العام التالي ضمن كتابه وموقعيه. زحف على المغرب الأوسط واستولى على تلمسان سنة 753هـ وقتل ملكها ثم استولى على بجاية وأخذ ملكها أسيراً إلى فاس، وكان ابن خلدون حينئذ ببلدة بسكرة فسعى للقاء السلطان أبي عنان في تلمسان فأكرم وفادته، وظل يتقرب منه حتى صار من بطانته فعينه عضواً في مجلسه.¹

وقبل ذلك كان قد تولى في المغرب الأقصى الوظائف التالية:²

- السلطان أبو عنان بفاس، وكان ابن خلدون عضواً في مجلسه العلمي وأحد كتابه وموقعيه (755-758هـ) وقد قضى بعد ذلك سنتين في سجن فاس (758-760هـ)
- الوزير الحسن بن عمر بفاس وقد أفرج عن ابن خلدون وولاه وظائفه السابقة (760هـ).
- السلطان منصور بن سليمان بفاس وقد تولى في عهده وظيفة الكتابة (760هـ)
- السلطان أبو سالم بفاس وقد تولى في عهده شؤون كتابة السر والإنشاء والمراسيم ثم تولى "خطة المظالم" (760-762هـ).
- الوزير عمر بن عبد الله بفاس وقد تولى في عهده الوظائف السابقة نفسها (763-764هـ).

4.2.1- رحلته الأولى إلى الأندلس ونشاطه فيها (764-766هـ):

قبل الرحيل إلى الأندلس أرسل زوجته وأولاده إلى أخوالهم أولاد القائد محمد بن الحكيم في قسنطينة، ثم قصد إلى سبتة في أوائل سنة 764هـ ونزل على الشريف أبي العباس أحمد رئيس الشورى في سبتة، وجاز بعد ذلك إلى جبل الفتح (جبل طارق) وجاز منه إلى غرناطة لما كان بينه وبين سلطانها من صداقة، ولما كان على نحو أربعة فراسخ من غرناطة وصله كتاب من صديقه الأديب الشهير بن الخطيب يهنئه بالقدوم ويفتتحه بقوله:

حللت حلول الغيث بالبلد المحل***على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تغنو الوجوه لوجهه***من الشيخ والطفل المهذا والكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة***تنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل¹

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 50.

² - نفسه، ص 58.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

ولما وصل إلى غرناطة احتفى به السلطان وأكرمه وضمه إلى أهل مجلسه واختصه في العام التالي (765هـ) بالسفارة بينه وبين ملك قشتالة لإبرام الصلح وتنظيم العلاقات السياسية بينهما فأدى ابن خلدون مهمته بنجاح، فاستأذن الملك لإحضار أسرته من قسنطينة بعد أن هياً لهم المنزل والبستان وسائر ضرورات المعاش.²

وبعد أن ساءت العلاقة بينه وبين السلطان رحل عن الأندلس متوجهاً إلى بجاية وكان ذلك سنة 766هـ بعد أن قضى في الأندلس نحو سنتين ونصف السنة.

5.2.1- نشاطه السياسي في المغرب (766-776هـ):

لما وصل إلى بجاية منتصف سنة 766هـ استقبله أميرها وأهلها استقبالا حفيا وولاه منصب الحجابة وكان أعلى منصب في الدولة، وعرفه ابن خلدون بأنه يمنح صاحبه: "الاستقلال في الدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته لا يشاركه في ذلك أحد"، كما تولى الخطابة بجامع القصبة وبذلك يكون قد جمع بين أرقى مناصب الدولة وأرقى مناصب العلم.³

6.2.1- رحلته الثانية إلى الأندلس (776هـ):

لما رأى ابن خلدون أن قصور بلاد المغرب كلها قد سدت في وجهه، وأنه أصبح موضع ريبة من أمرائها جميعا، لم يجد بدا من الرحيل عن المغرب كله، فترك أسرته بفاس وجاز المغرب مرة أخرى إلى الأندلس في ربيع 776هـ، وحط الرحال في غرناطة عند سلطانها ابن الأحمر، ولكن أمير فاس توجس من إقامته في الأندلس وخاف من دسائسه، فرفض السماح لأسرته اللحاق به، وطلب من سلطان غرناطة تسليمه لهم، فاستجاب إلى ذلك، وهكذا لم يكد ابن خلدون في رحلته هذه يسلم حتى ودع.⁴

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 58-60.

² - نفسه، ص 60.

³ - نفسه، ص 64.

⁴ - نفسه، ص 71.

3.1- المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف (776-784هـ/1374-1382م).

وتمتد من أواخر سنة 776هـ إلى أواخر سنة 784هـ، واستغرقت نحو ثمان سنين قضى نصفها الأول في قلعة بن سلامة ونصفها الأخير في تونس، وتفرغ خلال هذه المرحلة تفرغا تاما لتأليف "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ويطلق على القسم الأول منه اسم "مقدمة ابن خلدون"، وهو يشغل مجلدا واحدا من سبعة مجلدات يشغلها هذا الكتاب حسب طبعة بولاق ولم يستغرق تأليف هذا القسم سوى خمسة أشهر.¹

4.1- المرحلة الرابعة: وظائف التدريس والقضاء.

وتمتد من أواخر سنة 784هـ إلى أواخر سنة 808هـ فاستغرقت زهاء 24 سنة قضاهما كلها في مصر، نالت وظائف التدريس والقضاء أكبر قسط من وقته وجهوده.² لما رحل إلى مصر أقام بالإسكندرية شهرا للتحضير لرحلة الحج إلى البقاع المقدسة، لكنه لم يتمكن من ذلك فرحل إلى القاهرة في أول شهر ذي القعدة، حيث وصفها بقوله: "فرايت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الدّر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهو الحوانك والمدارس بآفاقه... وأسواقها تزخر بالنعم، وما زلنا نحدث عن هذا البلد، وبعد مداه في العمران".³ بعد أن أقام ابن خلدون بالقاهرة عدة أيام التف حوله طلبة العلم يلتهمون منه الإفادة، فاشتغل بالتدريس بجامعة الأزهر، ثم اتصل به سلطان القاهرة وأجرى عليه العطايا، وتوسط له لدى سلطان تونس حتى يسمح لعائلته اللحاق به⁴، وبعد لحاق أهله طال به المقام في مصر عشرات السنين بين القضاء والتدريس.

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 72.

² - نفسه، ص 80.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، المصدر السابق، ص 264، 265.

⁴ - نفسه، ص 266.

1.4.1-تنقيح الكتاب في تونس وإهدائه للسلطان أبي العباس (780-784هـ).

رأى ابن خلدون أن تنقيح كتابه وتكملته بمقتضيات الرجوع إلى الكتب والمصادر الموسعة الضرورية لمثل هذا التاريخ، فاعتزم العودة إلى مسقط رأسه تونس حيث تقدم له مكتباتها الغنية ما يحتاج إليه من مراجع، وكان سلطان تونس حينئذ أبي العباس، الذي قضى ابن خلدون وقتاً طويلاً في دسائس ومغامرات ضده لحساب أبي حمو سلطان تلمسان، فكتب إليه يرجوه الصفح والإذن، فرد السلطان بالقبول ودعاه إلى القدوم إلى تونس.¹

2.4.1- تدريسه في الأزهر وفي المدرسة القمحية (784-786هـ).

وصل ابن خلدون الإسكندرية في يوم عيد الفطر سنة 784هـ (نوفمبر 1382م) وكان السبب الظاهر لمقدمه إلى مصر هو الانتظام في موكب الحج، ولكن السبب الحقيقي الذي أخفاه هو الفرار من اضطراب السياسة في المغرب، فأقام في بادئ الأمر بالإسكندرية شهراً، ثم رحل إلى القاهرة التي وصفها بقوله: "قانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك تلوح القصور والأواوين في وجوه، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه..."²

وكان ابن خلدون حينئذ في 52 من عمره ولكنه لا يزال موفور النشاط والقوة، ولما وصل القاهرة لقي من علمائها أحسن استقبال، والتف حوله عدد كبير من المثقفين ينهلون من علمه، ويفيدون من مؤلفاته ومناهجه في البحث، ويقول أبو المحاسن بن تغرى بردي في ترجمته لابن خلدون: "واستوطن القاهرة، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة، واشتغل

1 - نفسه، ص 76.

2 - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص 80.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

وأفاد¹، ويقول السخاوي: "وتلقاه أهلها (يقصد أهل القاهرة) وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد عليه، بل تصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة..²"

وعلى الرغم من أن ابن حجر يحمل بشدة على ابن خلدون في ترجمته له في كتابه "رفع الإصر عن قضاة مصر" حيث نقل كلام كثير في ذمه، لكنه بالمقابل ينعتة بأنه: "كان لسنا فصيحاً، حسن الترتيل، وسط النظم، مع معرفة تامة بالأمور، خصوصاً متعلقات المملكة".³ وكان ملك مصر في هذا العهد الظاهر برقوق الذي ولي مصر قبل مقدم ابن خلدون بعشرة أيام (أواخر رمضان سنة 784هـ)، وقد عمل بن خلدون على التقرب منه والإتصال به "فأبر لقائه وأنس غربته، ووفر عليه الجراية من صدقاته، شأنه مع أهل العلم".⁴ ثم عينه في منصب تدريس الفقه المالكي بمدرسة القمحية، وهي من إنشاء صلاح الدين بن أيوب وقفها على المالكية يتدارسون بها الفقه، ووقف عليها أراضي من الفيوم تغل القمح، فسميت لذلك القمحية⁵، فحضر مجلسه الأول في ذلك العهد جمهرة من العلماء والأكابر والأمراء أرسلهم السلطان لشهوده، وقد زاد هذا الدرس من مكانته في نفوس سامعيه وأيد ما شتهر به من سعة العلم وفصاحة اللسان.

3.4.1- توليه مناصب القضاء وزيارته لمكة وبيت المقدس.

في 9 جمادى الثانية سنة 786هـ عزل السلطان القاضي جمال الدين بن خير المالكي، وعين مكانه ابن خلدون، وكان منصب قاضي قضاة المالكية في مصر أحد أربعة بعدد المذاهب يسمى كل منصب منها قاضي قضاة، وكان يسود القضاء في مصر حينئذ فساد واضطراب وميل إلى الهوى والأغراض، فلم يدخر ابن خلدون جهداً في إصلاحه، إلى

¹ - ابن تغرى بردي، المنهل الصافي، نسخة دار الكتب المصرية الخطية، رقم 113، تاريخ، ج2، ص 200.

² - شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج1، ص 146.

³ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري، ط2، ص ص: 99-103-199-204.

⁴ - كلام ابن خلدون في التعريف ص 249.

⁵ - كلام ابن خلدون في التعريف ص 279.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

غاية تحيته وعودته إلى التدريس في المدرسة الظاهرية البرقوقية في سنة افتتاحها عام 788هـ وبقي بها إلى أن عزله السلطان منها بعد وشاية.¹

وفي سنة 789هـ أدى فريضة الحج وعاد منها سنة 790هـ، وفي سنة 791هـ ولاه السلطان كرسي الحديث بمدرسة صرغتمش، وأضاف له وظيفة أخرى هي حيث عينه سنة 791هـ شيخاً لخانقاه ببيرس بعد وفاة وفاة شيخه السابق شرف الدين عثمان الأشقر.²

في النصف الثاني من سنة 801هـ عين مرة ثانية في منصب قاضي قضاة المالكية بعد أن أبعد عنه حوالي 14 عاماً، وفي تلك السنة توفي الظاهر برقوق وخلفه ابنه الناصر فرج، فأبقى لابن خلدون منصب القضاء، بيد أنه لم يلبث أن استأذن السلطان في السفر إلى فلسطين لزيارة بيت المقدس ومشاهدة آثار هذه البلاد فأذن له.

ابن خلدون إلى منصب قاضي القضاة المالكية الذي كان يشغله قبل رحلته إلى بيت المقدس، ولكنه عزل منه في منتصف شهر محرم سن 803هـ أي بعد ثلاثة أشهر فقط، ويذكر أن سبب عزله هذه المرة هو فساد الجهاز الحكومي في مصر فيقول: "وكان بمصر فقيه من المالكية يعرف بنور الدين بن الخلال ينوب أكثر أوقاته قضاة المالكية، فحرضه بعض أصحابه على السعي في المنصب... وليس منتصف محرم سنة ثلاث وثمانمائة ورجعت أنا للاشتغال بما كنت مشغلاً به من تدريس العلم وتأليفه".

4.4.1- ولاية الدروس والخوانق: دأب أهل الدولة التركية بمصر منذ عهد مواليتهم ملوك بني أيوب، على إقامة المدارس لتدريس العلم، والخوانق لإقامة رسوم الفقراء ومطارحة

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص 84.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، المصدر السابق، ص 90.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

الأذكار ونوافل الصلوات، فكثر بمدينة القاهرة وأصبحت معاشا للفقراء، من الفقهاء والصوفية.¹

2- التعريف بكتاب المقدمة (التركيز على باب العمران البشري).

يطلق اسم المقدمة على المجلد الأول من سبعة مجلدات التي يتألف منها "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (حسب طبعة بولاق سنة 1868م)²، بذل ابن خلدون كل ما لديه من جهد فكري وعلم ومعرفة في كتابة مقدمته، حتى جاءت شيئا ثمينا، متقدمة على العصر الذي كتبت فيه، وهي تحتوي على ستة فصول كما يلي:³

- الأول: في العمران البشري وهي تقابل علم الاجتماع، وقد درس ظواهر المجتمع البشري، والقواعد التي تدير عليها المجتمعات.

- الثاني: في العمران البدوي، وقد درس الاجتماع البدوي، كاشفا أهم خصائصه المميزة، وأنه أصل الاجتماع الحضري وسابق عليه.

- الثالث: في الدولة والخلافة والملك، وهو يقابل علم الاجتماع السياسي، وقد درس قواعد الحكم والنظم الدينية وغيرها.

- الرابع: في العمران الحضري، وهو ما يقابل علم الاجتماع الحضري، وقد شرح جميع الظواهر المتصلة بالحضر، وأصول المدنية، وأن التحضر هو غاية التمدن.

- الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب، وهو يقابل علم الاجتماع الاقتصادي، وقد درس تأثير الظروف الاقتصادية على أحوال المجتمع.

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، المصدر السابق، ص 304.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 176.

³ - محمد إبراهيم أحمد، عكة، أثر شخصية ابن خلدون في إبداع علم العمران، جامعة فلسطين الأهلية، د.ت. ص 12.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

- السادس: في العلوم واكتسابها، وهو ما يقابل علم الاجتماع التربوي، وقد درس الظواهر التربوية، وطرق التعلم وتصنيف العلوم.

ويمكن تناولها بأكثر تفصيل كما يلي:¹

أ- خطبة الكتاب أو ديباجته الافتتاحية وتتكون في حوالي 7 صفحات، عرض فيها المؤلف بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، لبحوث المؤرخين قبله، وذكر طوائفهم، وذكر الأسباب التي دعت به إلى تأليف الكتاب (العبر) وبين طريقته وأقسامه، وختم هذه الافتتاحية بإهداء نسخة من الكتاب إلى أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (سلطان المغرب الأقصى من 796-799هـ)، وهذه النسخة أتم تحريرها بمصر وبعث بها إلى هذا السلطان، أما النسخة الأولى فكان قد أهداها إلى السلطان أبي العباس أحمد الحفصي سلطان تونس سنة 784هـ.

ب- المقدمة في فضل التاريخ وتحقيق مذهبها والإشارة لما يتعرض له المؤرخين من المغالط والأوهام وذكر بعض أسبابها، وتقع في نحو 30 صفحة.

ج- الكتاب الأول في طبيعة العمران، وفي الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ويقع في نحو 650 صفحة، وهو القسم الرئيسي في مقدمة ابن خلدون، ويشمل تمهيد من 7 صفحات تكلم فيه عن التاريخ، وستة بحوث رئيسية تدرس ظواهر الاجتماع الإنساني وهي: الباب الأول: في العمران البشري، الباب الثاني: وفي العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل، الباب الثالث: وفي الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية، الباب الرابع: وفي البلدان والأمصار وسائر العمران، الباب الخامس: وفي المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، الباب السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال.

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، ص، ص: 176-177.

3- التعريف بمصطلح العمران.

1.3 - التعريف اللغوي:

العُمُرَانُ: البنيان

ما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن.

يقال: استبحر في العمران، والعدل أساس العمران

وعلم العمران عند ابن خلدون هو علم الاجتماع.¹

2.3 - التعريف الاصطلاحي:

اتضحت ملامح هذا العلم الجديد، الذي عبرت عنه مقدمة ابن خلدون وقد سماه بعلم العمران البشري أو علم الاجتماع الإنساني، وهو العلم الذي يطلق عليه اليوم اسم "السوسيولوجيا"، ويقول عنه: "وكأن هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من عوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا".²

ويعالج ابن خلدون ما نسميه الظواهر الاجتماعية وما يسميه هو "واقعات العمران البشري" أو "أحوال الاجتماع البشري"، واكتفى لها بالتمثيل في في فاتحة مقدمته بقوله: «إنه لما كانت طبيعة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك كله من الملك والدول ومراتبها، وما يتتخله البشر بأعمالهم ومعاشهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته

¹ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960.

² - عبد الناصر عزوز والسعيد فكرون، «حقيقة علم العمران البشري عند ابن خلدون»، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، العدد 02، جويلية 2012، ص ص 214-215.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

من الأحوال...»، ويقول: «ونحن الآن نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع».¹

والظواهر الاجتماعية في تعريفها المجمل عبارة عن القواعد والاتجاهات العامة التي يتخذها أفراد المجتمع ما أساسا لتنظيم شؤونهم الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض والتي تربطهم بغيرهم. ولم يدرس أحد قبل ابن خلدون الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية أدت إلى نتائج ومقررات، وهو بذلك أخضع الظواهر الاجتماعية لمنهج دراسي علمي، وعليه فإن ما توصل إليه يبقى عملا رائدا في ميدان الدراسات الاجتماعية، في مسيرة الفكر الإنساني.²

كما أن مقدمة ابن خلدون تكون قد شملت سبعة فروع على أقل تقدير من علم الاجتماع المعاصر، ناقشها ابن خلدون في وضوح تام.³ وعلى الرغم من أن التفكير الاجتماعي قديم قدم الإنسان نفسه إلا أن الاجتماع الإنساني لم يصبح موضوعا لعلم إلا لاحقا، وكان ابن خلدون أول من نبه إلى وجود هذا العلم ووضع أسسه.⁴ الذي أصبح اليوم ينسب إليه الفضل الكبير في تأسيسه ووضع قواعده ونظرياته الرئيسية.

- خلاصة الفصل الأول:

تطرقنا في هذا الفصل إلى التعريف بابن خلدون معرجين على نشأته وتلمذته وتحصيله العلمي، والوظائف الديوانية والسياسية التي تقلدها، في بلاد المغرب، ورحلته إلى الأندلس ونشاطه فيها، وتناولنا مرحلة مهمة من حياته تتمثل في التفرغ للتأليف، ووظائف التدريس والقضاء التي مارسها لمدة طويلة في مصر. كما عرفنا بأهم إنتاج علمي له ألا

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، ص ص 179-180.

² - مصطفى، الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د ت، ص 77.

³ - حسن، ساعتى، علم الاجتماع الخلدوني، قواعد المنهج، ط2، دار المعارف، مصر، 1973، ص ص 28-35.

⁴ - مصطفى، الشكعة، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الأول: ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران.

وهو كتاب المقدمة بمختلف أجزائه، وركزنا فيه على باب العمران البشري، حيث عرفناه لغة واصطلاحاً.

الفصل الثاني: العمران السياسي و الاقتصادي

- 1 - خطط الخلافة الإسلامية
- 2 - علاقة السلطان بالعمران
- 3 - أثر سياسة الدولة على العمران الاقتصادي.
- 4 - الحرف و الصنائع

تمهيد.

سنتطرق في هذا الفصل إلى مفهوم ابن خلدون للاجتماع السياسي المتمثل في نظام الحكم وطريقة تسيير الدولة، وعلاقة السلاطين برعيتهم سواء في المناطق البدوية أو الحضرية، وتأثير السياسة التي يتبعها الحكام على النشاط الاقتصادي والحرفي في أرجاء الدولة، وأهم الحرف والصنائع التي كانت موجودة في عصره.

1- خطط الخلافة الإسلامية:

1.1- ماهية الخطط.

1.1.1- لغة: جمع خطة، خطّ يخطّ تخطيطاً.

2.1.1- اصطلاحاً: وهي منهج أو طريقة، وهي مجموعة التدابير والإجراءات المتخذة الهادفة لانجاز عمل ما.¹

2.1- ماهية الخلافة.

1.2.1- لغة: مصدر من خلف فلان فلانا خلافة، إذا كان خليفته من بعده، أي ينوب عنه في غيبته، واستخلفته: جعلته خليفة لي، ويجمع خليفة على خلفاء، وهو جمع مذكر.²

2.2.1- اصطلاحاً: هي مصطلح يطلق على نظام الحكم المتبع في الشريعة الإسلامية، حيث تقوم الدولة باستخلاف قائد مسلم ليقوم بحكمها، وسميت الخلافة بهذا الاسم لأن الخليفة يخلف الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- في قيادة المسلمين والدولة الإسلامية³.

¹ - موقع <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/خطط/>

شاهد بتاريخ 2019/07/25

² - أحمد بن محمد بن علي المقري، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، ص 95. نقلاً عن: نعيم هدهود حسين، موسى، فقه العلامة ابن خلدون في الخلافة والإمامة، بحث مقدم لمؤتمر ابن خلدون علامة الشرق والغرب، المنعقد بكلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 1433هـ/2012م، ص 4، ص 10.

³ - موقع https://mawdoo3.com/مفهوم_الخلافة شاهد بتاريخ 2019/07/26

الفصل الثاني: العمران السياسي و الاقتصادي.

وتعني حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة لها فهي خلافة صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا.¹ ويطلق لفظ الخلافة في الاصطلاح الشرعي على السلطان الأعظم الذي يقود الأمة، ويحفظ البلاد، وينصر العباد، ويحكم بين الخصوم.²

ويبدو أن القصد منها في مقدمة ابن خلدون هو طريقة الحكم وأنواعه في الدولة الإسلامية، فالإنسان اجتماعي بطبعه وبحاجة إلى غيره من أبناء جلدته، لكن طبائع الإنسان الحيوانية، قد تكون محل خلافات بين أعضاء هذا المجتمع، لذلك فهم بحاجة إلى حاكم ينظم العلاقات بين أفرادهم حتى لا يعتدي أو يظلم أحد الآخر، فيكون للسلطان الغلبة واليد الظاهرة عليهم حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك أو السلطان.³ وذلك استنادا إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها حتى يستتب أمر الدولة ويستقر حالها.⁴ وعليه فإن أنواع السياسات والحكم عند ابن خلدون تنقسم إلى أربعة وهي:⁵

¹ - القاموس المحيط نقلا عن موقع: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/الخلافة/>

شاهد بتاريخ 2019/07/27

² - محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، ط1، ج1، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 82.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 1424هـ/2004م، ص ص: 65-67.

⁴ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 243.

⁵ - نعيم هدهود حسين، موسى، فقه العلامة ابن خلدون في الخلافة والإمامة، بحث مقدم لمؤتمر ابن خلدون علامة الشرق والغرب، المنعقد بكلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 1433هـ/2012م، ص 4.

- **حكم ذو سياسة عقلية:** وهي القوانين التي يفرضها عقلاء الدولة وبصرائها وأكابرها، لحمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية، ودفع المضار، وهي سياسة مذمومة لأنه يحصل نفعها في الدنيا مع إهمال الآخرة.¹
- **حكم ذو سياسة طبيعية:** وهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة بدافع التغلب والقهر، وهي سياسة مذمومة أيضا لأنها جائرة ومجحفة في حق الخلق وأحوال دنياهم.²
- **حكم ذو سياسة مدنية:** وهي ما يطلق عليه الحكماء "المدينة الفاضلة" غير أنها سياسة خيالية في نظرهم، وهي نادرة وبعيدة ولا يمكن أن تتحقق، لأنها تكون بوازع كل فرد ويستغنى بها عن الحكام، وهي سياسة مذمومة لذلك يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير.³
- **حكم ذو سياسة دينية:** وهي حمل الكافة على النظر الشرعي الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، وهي سياسة محمودة لأنها تستند إلى الشرع الذي يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب، وهي سياسة نافعة في الدنيا والآخرة، وهذا الحكم والسياسة هي التي تسمى عن ابن خلدون "الخلافة والإمامة".⁴ وحسب ابن خلدون فإن الحكم والسياسة بنيا على أربع دعائم يرتهن بقاء الحكم بوجودها، فإذا فقدت ضعفت وخارت الدولة، ومالت نحو الشيوخة والهرم⁵، وتتلخص فيما يلي:
- **دعامة الدين:** يرى ابن خلدون أن بقاء الدولة واستمرارها مرهون بمدى تمسكها بدينها، وحمل الرعية على النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية، لأن الحكم والسياسة

1 - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص ص 65-67.

2 - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص 4.

3 - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 371.

4 - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص 5.

5 - نفسه، ص 6.

إنما يكونا لحراسة الدين والدنيا، فهما توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يصلح أحدهما بدون الآخر.¹

ويقول ابن خلدون أن الدولة العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين، إما من نبوة، أو دعوة حق مما تزيد الدولة في حقها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها، ذلك أن الملك إنما يحصل بالتغلب، فإذا انصرفت إلى الحق، ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله، اتحدت وجهتها، فذهب الخلاف وحسن التعاون، فعظمت الدولة.² ويؤكد الماوردي ذلك بقوله: "اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتزمة ستة أشياء، هي قواعدها وإن تفرغت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح".³

- **دعامة العصبية:** يعتبر ابن خلدون العصبية من الضروريات التي تقوم عليها الدول، حيث فسرها بالوازع، فبعد أن أقر أن الاجتماع البشري ضروري لقيام الدولة، انتقل إلى تقرير الوازع ووجوده، الذي يدفع بععدوان البعض عن البعض الآخر، وبالتالي لابد لهذا الوازع من غلبة السلطان، ويد قاهرة عليهم،⁴ وهذا الوازع لابد أن يكون نابعا من عصبية يقتدر بها على قهرهم⁵، واستدل ابن خلدون بوجود العصبية في حالة بغى بعضهم على بعض،

¹ - علي ابن الحسن بن حبيب، الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محيي

هلال السرحان، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 149. أنظر ابن خلدون: المقدمة، ص 244.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 205.

³ - علي ابن الحسن بن حبيب، الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، ط4، بيروت،

1405هـ/1985م، ص 148.

⁴ - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص 7.

⁵ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص، ص 66-67.

ونشوب القتال بينهم، أنه لا يصدق الدفاع والذيات حينها إلا إذا كانوا عصبية، وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتت شوكتهم ويخشى جانبهم.¹

- **دعامة الفضيلة والأخلاق:** العصبية وحدها بدون الصفات الحميدة نقصا في أهل الحساب والنسب، فما بالك بالحكام، فالسياسة والملك هي كفالة للخلق، وتنفيذ لأحكام الله²، فمن حصلت له العصبية، وأونست منه خلال الخير لتنفيذ أحكام الله في خلقه، فقد تهيأ للخلافة في العباد.³ وعكس الفضيلة والأخلاق فإن المعاصي والرذائل تعجل بزوال الملك وحلول الدمار وذهاب الخيرات، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.⁴

- **دعامة توازن حدود الدولة ونطاقها مع عدد القائمين عليها:** إن لكل دولة حصتها من الممالك والأوطان التي ينتشر فيها القائمين عليها، لحمايتها من العدو وتطبيق أحكام الجباية والردع فيها، وغيرها من الأمور.⁵

وعندما توزع العصائب على الثغور يقل وينفذ عددها، وإن تكلفت بعد ذلك زيادة على ما بيدها بقيت دون حامية وكانت موضعا لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور وخرق سياج الهيبة، وكلما كانت عصابة الدولة أكثر كلما كانت أقوى وأكثر ممالكا وأوطانا، ولم بنفذ عددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي، وبقي مركزها قويا مهابا، حيث أن الدولة في مركزها أشد ما يكون في الطرف والنطاق.⁶

1 - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص 7.

2 - نفسه، ص 7.

3 - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 187.

4 - القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 16.

5 - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص 8.

6 - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 210-212.

2- علاقة السلطان بالعمران.

كان حديث ابن خلدون عن الخلافة عارضا، لأنها نوع من الملك، ولابد منه في العمران البشري، ليرعى الحاكم مصالحهم، ويدفع ظلم بعضهم عن بعض ومن هنا كانت العلاقة¹، وذلك عندما صرح قائلا: "لابد للفقهاء من النظر في جميع ذلك لما قدمناه من انسحاب حكم الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان، إلا أن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبته إنما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر، لا بما يخصها من أحكام الشرع، فليس من غرض كتابنا كما علمت، فلا نحتاج إلى تفصيل أحكامها الشرعية".²

1.2- وجوب إقامة الخلافة: يرى ابن خلدون وجوب قيام الخلافة لأنها فرض كفاية، لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته قاموا بمبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - ولم تترك الناس فوضى في عصر من العصور، وقد استقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الخليفة.³ وقد وردت في هذا الأمر أدلة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁴ كما وردت أدلة أخرى في السنة النبوية الشريفة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم - : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون). قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم

¹ - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص 14.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 296.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص ص 244، 246.

⁴ - القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 59.

عما استرعاهم)¹. ومنه فتتصيب السلطان أو الخليفة يستند على مراجع شرعية واضحة، كما يدل هذا الحديث الشريف على أن الأنبياء هم الذين كانوا يحكمون الأقوام السابقة.

2.2- طريقة اختيار السلطان أو الخليفة: حسب ابن خلدون فإن أهل الحل والعقد هم من ينصبون الخليفة في حالة عدم انتصابه بنفسه، أو عدم العهد ممن قبله، ويجب عليهم طاعته إذا تم الأمر له²، فالخليفة ينظر في مصالح الأمة وأمر دينهم ودنياهم، فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، ويتقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل³. وهو يقصد هنا أن السلطان يجوز أن يعهد بالإمامة إلى والده أو ولده بعده.

3.2- شروط اختيار السلطان أو الخليفة: ذكر ابن خلدون خمسة شروط اختصرها وضمها إلى بعضها واعتبر شرط النسب القرشي مختلفا فيه، اتفقت مع ما ذكره الماوردي⁴، وشروط الخلافة المتفق عليها هي:⁵

- **العلم:** هو شرط ظاهر، لأن الخليفة يكون منفذا لأحكام الله إذا كان عالما بها.
- **العدالة:** ذلك أنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها، لذلك كلن أولى باشتراطها فيه.
- **الكفاية:** وهي أن يكون جريئا في إقامة الحدود واقتحام الحروب، بصيرا بها، كفيلا بحمل الناس عليها، عارفا بالعصية وأحوال الدهاء.

¹ - الجامع المسند المشهور بصحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رقم 3268.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 246.

³ - نفسه، ص ص 266-267.

⁴ - علي ابن الحسن بن حبيب، الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1،

مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1403هـ/1983م، ص ص 24-29.

⁵ - نعيم هدهود حسين، موسى، المرجع السابق، ص ص 20، 21.

- سلامة الحواس والأعضاء: يعني سلامتها من النقصان والعطلة، كالجنون والعمى والصمم والخرس، وما يؤثر فقده من الأعضاء في الرأي والعمل.

4.2- واجبات السلطان أو الخليفة: وظيفة الخليفة حراسة الدين وسياسة الدنيا، وحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في الأخروية والدنيوية، فله إذا مراتب خادمة، ووظائف تابعة تتعين خططا، وتتوزع على رجال الدولة ووظائف، إلا أن المنصب الخلافي يختص بخطط ومراتب لا تعرف إلا للخلفاء الإسلاميين.¹

وذكر ابن خلدون واجبات الخليفة في قوله: "أعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة، فكأنها الإمام الكبير والأصل الجامع، وهذه الولايات كلها متفرعة عنها وداخلة فيها، لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية، وتنفيذ أحكام المشرع فيها، على العموم".²

3- أثر سياسة الدولة على العمران الاقتصادي.

لعل ابن خلدون يكون أول من أدرك العلاقة والتلازم بين السياسة والاقتصاد، حيث اعتبر الاقتصاد شيء أساسي لتطوير الحياة السياسية والاجتماعية للدولة كالضرائب والأعمال والخدمات العامة، كما كان يرى أن العمران البشري يرتكز على دعامتين أساسيتين هما: دعامة سياسية اجتماعية تكمن في القوة، ودعامة اقتصادية تكمن في إنتاج البشر.³

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 276.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، تحقيق: حامد أحمد طاهر، ص 276.

³ - العربي، بوحسون، علامات الإنحطاط الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع المغربي خلال القرن 14م عند ابن خلدون: تحليل مشكلات الفائض الاقتصادي، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 5، العدد 2، جامعة تلمسان، ص ص 133، 134.

1.3-المصطلحات الاقتصادية عند ابن خلدون: تطرق ابن خلدون إلى العمران الاقتصادي بمصطلحات عصره التي كانت متداولة ومن أهمها المعاش والكسب وفي بعض الأحيان يأتي مصطلح العمل دال عن العملية الإنتاجية في مفهومها الواسع¹. ومن أقواله في هذا الشأن: "أعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلى أشده إلى كبره"². والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ كُفَّارٌ﴾³ و﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁴ و﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁵ و﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُكَ لَتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾⁶ وسخر الله للإنسان الأنعام أيضا كما وردت ذلك في العديد من الآيات: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾⁷

¹ - الطيب، داودي، نظرية الإنتاج عند ابن خلدون (دراسة مقارنة)، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 19، جامعة منتوري قسنطينة 2003، ص 112.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 831.

³ - القرآن الكريم، سورة محمد، الآية 38.

⁴ - القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية 13.

⁵ - القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية 12.

⁶ - القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 32.

⁷ - القرآن الكريم، سورة النحل، الآيات 5-8. أنظر أيضا: سورة يس الآيات 71-73، وسورة غافر الآية 89،

2.3- أصناف الاقتصاد عند ابن خلدون: تناول ابن خلدون في الفصل الخامس من المقدمة معاش الإنسان ومفهومه للرزق والكسب والصنائع، وأصناف النشاطات الاقتصادية التي كان يمارسها الناس في عصره، وسنوضحها وفق الترتيب التالي:

1.2.3-المغرم أو الجباية: يقول ابن خلدون: "اعلم أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وهو مفعول¹ من العيش، كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضعاً له على طريقة المبالغة، ثم إن تحصيل الرزق وكسبه إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقنتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرماً وجباية".² وقد استعمل ابن خلدون هنا مصطلح "أخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقنتدار" مما يدل على استعمال القوة للحصول عليه، وقد يكون هذا الفعل من الأسباب التي جعلته لا يعترف بالإمارة كوجه من وجوه النشاط الاقتصادي.³ وكأنه يقول أن الضرائب لا يمكن تحصيلها إلا من طرف الدولة التي تملك القوة والعزم لذلك.

2.2.3- الصيد وتربية الحيوانات: يقول ابن خلدون: "وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأخذه برمييه من البر أو البحر ويسمى اصطياداً، وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفه بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام والحريير من دوده والعسل من نحله"⁴، وكأنه يريد القول أن الغذاء ذو المصدر الحيواني كاللحم واللبن والعسل وبعض المواد كالحرير يمكن الحصول عليه من صيد الحيوانات البرية أو تربية الحيوانات الداجنة أو الحشرات.

¹ - مفعول: يقصد به اسم مكان على وزن مفعول.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 835.

³ - الطيب، داودي، المرجع السابق، ص 115.

⁴ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 836.

3.2.3- الفلاحة: يقول: "أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته، ويسمى هذا كله فلحاً"¹، يظهر أنه استعمل مصطلحاً حديثاً متداولاً اليوم وهو الفلاحة وقصد بها زراعة النباتات وغرس الأشجار والعناية بها حتى يحصل الإنسان على إنتاجها وثمارها.

فإذا رأينا إلى تتكر بعض المفكرين والمذاهب للزراعة كنشاط اقتصادي مثلما ساد في الفكر التجاري، يتبين لنا بوضوح مدى أهمية أفكار ابن خلدون في هذا المجال والسبق الذي حققه على غيره.²

4.2.3- الصناعة والخدمات: يقول: "وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية، إما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة وحياكة وفروسية وأمثال ذلك، أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتهانات والتصرفات".³

عرف تاريخ الفكر الاقتصادي نقاشات وتناقضات في مجال أوجه النشاط الاقتصادي وأوجه النشاط الإنتاجي، ولا سيما عدم إنتاجية الخدمة التي ظلت حتى العهد الكلاسيكي متفق على عدم إنتاجيتها، فالعالم آدم سميث تتكر لإنتاجية الخدمة، عكس ابن خلدون الذي صرح قبل أربعة قرون من الفكر الكلاسيكي بإنتاجية الخدمة، بل أنه صنف بعض العمليات الإنتاجية المحسوبة على الخدمات في المجال الصناعي كقوله "وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة" حيث اعتبر الكتابة من الصنائع وهي كذلك في وقتنا الحالي.⁴

¹ - نفسه، ص 836.

² - الطيب، داودي، المرجع السابق، ص 116.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 836.

⁴ - الطيب، داودي، المرجع السابق، ص 116.

أما استعماله عبارة " أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتهانات والتصرفات " فقد جسم ابن خلدون هذا الأمر في إنتاجية الخدمة سواء كانت مرئية أو غير مرئية فكرية أو جسمانية، أي جميع المهن¹، ونراه في هذه المقولة خلط بين المهن الصناعية والخدمية، وربما هذا يرجع إلى وجود حرفيين يتقنون أكثر من مهنة أو عدم انتشار التخصص المهني بشكل واسع في زمانه.

5.2.3- التجارة: يقول: "وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض، وإما بالتقلب بها في البلاد، أو احتكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها ويسمى هذا تجارة".²

بين ابن خلدون دور التجارة والمنافع التي تقدمها للناس عن طريق توفير حاجاتهم من السلع والخدمات، بإعداد المنتجات للتبادل والأعواض ، ثم عملية جلبها من البلاد التي يزيد الإنتاج فيها إلى البلاد التي تزداد الحاجة فيها، فالعملية تولد منفعة مكانية لم تكن موجودة، بالإضافة إلى تخزينها وحفظها في وقت يفيض فيها إنتاجها وتنخفض أسعارها إلى وقت آخر يقل فيه إنتاجها وتزداد الحاجة إليها وهذه العملية تظهر منفعة زمنية، فقانون المنفعة أو المنافع لم يتقطن إليه الفكر الاقتصادي إلا في القرن 19م، وهذا ما يضيف لابن خلدون ميزة فكرية سابقة لعصره.³

4- عوامل الإنتاج عند ابن خلدون: عرفت أوجه النشاط الاقتصادي اختلاف في وجهات النظر في الفكر الاقتصادي، وكذلك عناصر الإنتاج التي قامت حولها مناقشات من حيث عددها هل هي اثنان أم ثلاثة أم أربعة، وسنحاول في هذا العنصر أن نعرف كيف عالج ابن

¹ - نفسه، ص 116.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 836.

³ - الطيب، داودي، المرجع السابق، ص 117.

خلدون هذه المسألة، من حيث عناصر الإنتاج الثلاثة التي أقرها¹، وعليه فمصادر العيش أو الرزق تتعدد بين إنسانية أي نتاج مجهود إنساني وطبيعية أي موجودة في الطبيعة بصفة عامة، وذلك في الفروع التالية:

1.4- العمل الإنساني عند ابن خلدون: يقول: "اعلم أن السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الإمارة والملك الذي هو بسبيله، من الجندي والشرطي وال كاتب، وسيكتفي في كل باب بمن يعلم غناؤه فهو يتكفل بأرزاقهم من بيت ماله، وهذا كله مندرج في الإمارة ومعاشها، إذ كلهم ينسحب عليهم حكم الإمارة، والملك الأعظم هو ينبوع جداولهم، وأما ما دون ذلك من الخدمة من خلق التتعم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرا من ماله، وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان"²

فابن خلدون هنا يلح على ضرورة ضمان الخدمات عبر كل أنحاء البلاد، وعدد بعضها كالجندي والشرطي وال كاتب، ويتم تسديد رواتبهم من بيت مال الدولة، لأنهم تحت حكم الدولة والسلطان أو الملك هو المسؤول المباشر عليهم، أما الأمور الترفيهية الشخصية فيتكفل بنفقاتها من ماله الخاص، كما يبرز مكانة العمل وقيمتها في حياة الناس ويقرنه بالرجولة الطبيعية للإنسان.

إن المنفعة التي هي المكون الرئيسي للقيمة في فكر ابن خلدون، لا تحصل إلا بالعمل الإنساني، وهو بهذا يدعم نظرية القيمة في العمل، التي تعتبر الأكثر قبولا، حيث تطورت على يد العلماء الكلاسيكيين أمثال: آدم سميث، وويليام بيتي، ودافيد ريكاردو، ثم أصبحت متداولة بمفهومها الاشتراكي عند الماركسيين.³

¹ - نفسه، ص 123.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 837.

³ - الطيب، داودي، المرجع السابق، ص 124.

2.4- الموارد الطبيعية: إن دراسة الموارد الطبيعية لا تكمن في سرد عددها، ولا في تعريف مواردها كالماء والهواء والجبال والبحار والتلال وما بين السماء والأرض، وما عرفه الإنسان من كنوز هذه الأرض، وإنما تكمن في الأبعاد الاقتصادية التي ذكرها ابن خلدون.¹

1.2.4- منشأ الموارد الطبيعية: لم تجب معظم المدارس الاقتصادية بصراحة ووضوح عن منشأ الموارد الطبيعية، فقد أرجعوا ذلك إلى الصدفة مرة، وإلى الطبيعة مرة أخرى، وكأن الصدفة تخلق الأشياء، أو أن الطبيعة صنعت نفسها²، لكن الإجابة موجودة في الآيات التالية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾³ و﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾⁴.

2.2.4- توفر الجهد البشري لاستخدام الموارد الطبيعية: إن الموارد الطبيعية قد خلقها الله بشكلها الأولي وأودعها الطبيعة بأنواع وحالات مختلفة، وهي بذلك عديمة المنفعة ما لم يتدخل فيها العمل الإنساني، فيشكلها ويناسق بين عناصرها، عن طريق التجربة وإعادتها، واكتشاف القوانين واختراع الوسائل للاستفادة منها.⁵

3.2.4- توفر رأس المال: إن أهمية رأس المال في وقتنا الحاضر لم تكن مما كانت عليه في عصر ابن خلدون، وإن اختلفت أنواع وأشكال رأس المال نتيجة التقدم الطبيعي للفكر

¹ - نفسه، ص 125.

² - نفسه، ص 126.

³ - القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية 13.

⁴ - القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 13.

⁵ - الطيب داودي، المرجع السابق، ص 126.

الإنساني، إلا أنه مأخوذ مما هو مسخر في الطبيعة، ولهذا فإن رأس المال لا يمكن وجوده دون وجود الطبيعة والعمل البشري.¹

5- الحرف والصنائع عند ابن خلدون.

إن تعدد أغراض النصوص الأدبية والتاريخية والمناقبية والنوازلية، جعل مفاهيم الحرفة ودلالاتها متنوعة بين روحية وأخلاقية وسياسية واجتماعية.²

1.5- ماهية الحرفة أو الصناعة: سنستعرض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للحرفة أو الصناعة كما يأتي:

1.1.5- لغة: الحرفة: حرف يحرفُ حرافة فهو حَرِيفٌ، الحِرْفَةُ في لسان العرب: حَرْفٌ لأهله، يحرفُ: كسب وطلب واحتال والاسم حرفة، وأحرف الرجل فهو مُحرف، إذا نما ماله وصلاح، وفي حديث عمر رضي الله عنه-: "لِحِرْفَةٍ أهدهم أشد عليَّ من عيلته"، والحرفة أيضا الصناعة والمحترف الصانع، رجل صِنع اليدين بالكسر وبالتحريك وصنيع اليدين وصنّاعهما، حاذق في الصنعة، والصنّع بالكسر الخِيَّاط أو الدقيق اليدين.³

2.1.5- اصطلاحا: الحرفة: مهنة، صنعة، وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة، وأهل الحرف: أصحاب الصنائع.⁴ ومفهوم الحرفة عند ابن خلدون يتضح في قوله: "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، ويكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة، أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية

¹ - الطيب داودي، المرجع السابق، ص 126.

² - الطاهر، بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال كتب المناقب، الملتقى الوطني حول الحرف والمهن في المغرب الأوسط، المنعقد يومي 10 و 11 أبريل 2012، بجامعة بسكرة.

³ - محمد بن يعقوب مجد الدين، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، دار الجيل بيروت، بيروت، 1980، ص 54.

⁴ - <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/حرفة/>

المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد مرة، حتى ترسخ صورته"¹ فالصناعة حسبه هي عمل فكري وجسماني يتم تعلمه بالتكرار والمداومة.

وهناك من رأى بأن ابن خلدون لم يكن له السبق في تعريف الحرف وتقسيمها، وحججهم في ذلك بأن إخوان الصفا وخلان الوفا قد سبقوه في ذلك حيث رأوا أن الناس كلهم صناع وتجار، أغنياء وفقراء، وقسموا الصنائع إلى أقسام متشعبة حسب الفائدة والموضوع وطبيعة الإنتاج والتقنيات المستعملة في العملية الإنتاجية، من حيث مستوى تعظيمها أو بساطتها في الاستعمال.²

2.5- أمهات الصنائع عند ابن خلدون: يعتبر السعي للكسب هو المعاش حسب ابن خلدون، وله أوجه مختلفة تكون من خلال استغلال مواد معينة وتحويلها، تسمى بالحرف كالكتابة والنجارة والخياط والحياكة، كما يمكن أن تشمل الحرف مواد غير معينة هي عند ابن خلدون جميع الامتهانات والتصرفات، كما يمكن أن يكون الكسب من مقابلة السلع ببعضها وارتقاب حالة الأسواق، وهو ما يعرف بالتجارة.³ وسنتناول أمهات الحرف والصنائع عند ابن خلدون كما يلي:

1.2.5- صناعة الفلاحة: يقول ابن خلدون: " هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 856.

² - عبد المجيد، مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي-دراسة فلسفية واجتماعي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 44.

³ - نفسه، ص 340.

ودواعيه، وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت...ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو، وإذ قدمنا أنه أقدم من الحضر وسابق عليه".¹

في هذه الفقرة يخبرنا ابن خلدون عن كيفية القيام بالزراعة ومراحلها، وأهميتها باعتبارها أقدم صنعة مارسها الإنسان، وضرورتها التي تكمن في حاجة الإنسان الحيوية للغذاء أو القوت، وأنها تختص بأهل البدو دون أهل الحضر.

2.2.5- صناعة البناء: يقول: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للأبدان في المدن، وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدقع عنه الأذى من الحر والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها، والبشر مختلفون في هذه الجبلية الفكرية، فمنهم المعتدلون فيها...وأما أهل البدو فبعيديون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم عن إدراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج".²

في هذا المقطع يقول ابن خلدون أن البناء يعتبر أول صنعة حضرية وأقدمها، ويصف لنا كيفية بناء البيوت وتحصينها، لدفع الأذى والحر والبرد عن ساكنيها، وهي تلقى الاهتمام في المدن عكس سكان البدو الذين يكتفون بالسكن في الكهوف والغيران غير المهيأة.

3.2.5- صناعة النجارة: يقول: "هذه الصناعة من ضروريات العمران، ومادتها الخشب، وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للأدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته، وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 864، 865.

² - نفسه، ص 865.

معروف لكل أحد، ومن منافعها اتخاذها خشبا إذا يبست، ومن منافعها أن يكون وقودا لنيران في معاشهم وعصيا للاتكاء والذود والذود وغيرها من ضرورياتهم، ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم... فأما أهل البدو فيتخذون منها العمود والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعانهم والرماح والقسي والسهام لسلحهم، وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم".¹

يخبرنا ابن خلدون هنا أن صناعة الخشب مادتها الأساسية هي الخشب الذي مصدره الأشجار التي تعتبر من المنافع التي منحها الله تعالى للإنسان، وعدد فوائدها واستعمالاتها لدى أهل البدو وأهل الحضر، وقد ذكر الشجر في القرآن الكريم في أكثر من آية: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾.²

4.2.5- صناعة الحياكة والخياطة: يقول: "هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفق، فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول وإحاما في العرض، لذلك النسج بالالتحام الشديد قيتم منها قطع مقدرة فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس، والصناعة الثاني لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل أولا بالمقراض قطعا مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أو تنبيتا أو تفسحا على حسب نوع الصناعة".³

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 869.

² - القرآن الكريم، سورة يس، الآية 80.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 871.

يشرح لنا ابن خلدون الحياكة والخياطة ويقول أنها من المنتجات الضرورية لرفاهية الإنسان، حيث ذكر لنا المواد الأولية التي تحاك منها المنسوجات كالصوف والقطن والكتان، والتقنية المتبعة وهي السدى في الطول واللحمة في العرض، ويتم تفصيلها بالمقراض حسب مقاييس الجسم، وتصنع المنسوجات بأشكال مختلفة.

5.2.5- صناعة الكتابة: يقول: "وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان، وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض...ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين".¹

لقد وردت الكتابة في القرآن الكريم في عدة آيات: ﴿... فَأَكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾²

6.2.5- صناعة الوراقة: يقول: "كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط، وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة...فكثرت التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار فانتسخت وجلدت، وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران".³

إن مسار تطور فن الوراقة والنسخ طويل فالخليفة الراشدي عثمان بن عفان (23-31هـ/648-655م)، أمر بجمع القرآن الكريم من صدور الرجال الحفاظ وأوكل هذه المهمة

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 879.

² - القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 282.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 889.

الفصل الثاني: العمران السياسي و الاقتصادي.

للسحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه¹، وعند تطور المجتمع الإسلامي خلال الخلافة العباسية أصبح من الضروري فهم الفلسفة اليونانية والشعوب الوافدة على المجتمع الإسلامي، مما أدى إلى وجود ترجمة يحولون هذه اللغات إلى العربية، وفرض وجود الوراقين لنسخ الكتب المترجمة، ومن أشهرهم ابن النديم² وعليه فصناعة الوراقة تمتد عبر العصور الإسلامية، وعرفت الكثير من التطور والتحكم في تقنياتها.

- خلاصة الفصل الثاني.

بعدما استعرضنا مفهوم العمران السياسي عند ابن خلدون، وجناه يقسم السياسات وأنواع الحكم إلى أربعة أقسام: الأول حكم ذو سياسة عقلية، والثاني حكم ذو سياسة طبيعية، وحكم ذو سياسة مدنية، وحكم ذو سياسة دينية، كما أن الحكم والسياسة حسبه يقومان على أربع دعائم هي: دعامة الدين، ودعامة العصبية، ودعامة الفضيلة والأخلاق، و دعامة توازن حدود الدولة ونطاقها مع عدد القائمين عليها. كما تطرق إلى علاقة السلطان بالعمران، من حيث وجوب اختياره، وطريقة اختياره والشروط التي يجب أن تتوفر فيه، وواجباته اتجاه الرعية.

أما في العمران الاقتصادي فقد ذكر العديد من المصطلحات التي كانت سائدة في عصره كالمعاش والكسب والقوت والعمل، وكذلك تصنيفاته للاقتصاد مثل: المغرم أو الجباية والصيد والزراعة والتجارة، وقسم النشاطات الاقتصادية إلى إنسانية وطبيعية، دون أن يغفل التعريف ببعض الحرف والصنائع التي كانت سائدة في زمانه، كالفلاحة والبناء والنجارة والحياكة والخياطة والوراقة.

¹ - حسن قاسم، البياتي، رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، ط1، دار العلم، بيروت، 1414هـ/1993م، ص 65.

² - خير الله، سعد، وراقو بغداد في العصر العباسي، ط1، رياض، 1421هـ/2002م، ص ص 192، 193.

الفصل الثالث: العمران الاجتماعي و الفكري

- 1 - نظرية الغالب و المغلوب
- 2 - العمران و طبيعة المجتمع
- 3 - العلوم و المعارف بالمغرب الإسلامي
- 4 - الدواوين و التدوين في القرن الثامن للهجرة

تمهيد:

نستعرض في هذا الفصل ما جاء به ابن خلدون حول نظرية الغالب والمغلوب، والعمران البدوي والحضري، والعلوم والمعارف في بلاد المغرب الإسلامي آنذاك، والدواوين والتدوين في القرن 8 هـ، مع عرض بعض المفاهيم والتحليلات الخاصة بها من طرف الباحثين.

1- نظرية الغالب و المغلوب.

في الفصل الثالث والعشرون من مقدمته يقول ابن خلدون: "المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"¹

فالمغلوب ينقاد لتقليد الغالب والسبب حسب "أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء".²

فتفوق الآخر وامتلاكه للقوة، تجعل المغلوب يتماهى بالقهر، فالأمم المقهورة تنقاد للآخر وتقلده في الكثير من الأشياء وقد أعطانا ابن خلدون مثال الجلالقة في الأندلس بقوله: "كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء، والأمر لله".

كما أعطانا مثال آخر عن تقليد عامة الناس لملوكهم ورضوخهم لهم واعتقادهم بأنهم يتميزون بالكمال: "وتأمل في هذا سر قولهم: العامة على دين الملك، فإنه من بابه، إذ

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص 505.

² - نفسه، ص 505.

الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بأبائهم والمتعلمين بمعلميهم. والله العليم الحكيم، وبه سبحانه وتعالى التوفيق".

2- العمران و طبيعة المجتمع (البدو و الحضر).

1.2- العمران البدوي عند ابن خلدون: المقصود بالبدو عند ابن خلدون هم أهل القرى وأهل الصحراء، فالعمران البدوي هو ما نسميه بعلم الاجتماع البدوي، "ويعنى بتحديث ظاهرة البداوة وتتبع مختلف مظاهرها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية فضلا عن التعرف على طبيعة البنيان الاجتماعي للمجتمعات البدوية بوجه عام، والتعرف على الخصائص الاجتماعية والنفسية والحضارية للجماعات البدوية بوجه خاص".¹

فالبداوة التي قام ابن خلدون بدراستها هي نمط من أنماط الحياة المجتمعية، وتعتبر بداية التكيف لكل من الفرد والجماعة، مع الظروف البيئية الصعبة والقاهرة، حيث ارتكز هذا التكيف للمجتمع البدوي على قيم وعادات وتقاليده وأعراف ونظم، مكنتهم من الحياة والاستمرار على الرغم من العزلة المفروضة عليهم.²

1.1.2- أجيال البدو والحضر طبيعية: يقول ابن خلدون: " اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة، ومنهم من ينتحل على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها".³

في هذا المقطع يعني أن اختلاف الأجيال باختلاف طريقتهم في كسب العيش، لأن اجتماعهم يكون للتعاون على كسب العيش الضروري قبل البحث عن الكماليات، فمنهم

¹ - صلاح مصطفى، الفوال، علم الاجتماع البدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د.ت، ص 76.

² - نفسه، ص 73.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج 2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص 467.

من يحترف الزراعة، ومنهم من يحترف الرعي. وكلا من المزارعين والرعاة يحتاجون إلى البداوة.

2.1.2- جيل العرب في الخلقة طبيعي: في البداية لابد من توضيح معنى كلمة العرب التي استعملها ابن خلدون في المقدمة، فهناك شبه إجماع من معظم الباحثين على أنه يقصد بها الأعراب الذين يسكنون البوادي والقرى وليس المقصود بها العرب كجنس.

يقول ابن خلدون: " قد قدمنا في الفصل قبله أن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري من الأتوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة، إنما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه، وقد يأوون إلى الغيران والكهوف".¹

ويقول: "وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيراً بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار. فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال، وهم عامة البربر والأعاجم. ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم. والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياح المسارح والمياه لحيواناتهم، فالتقلب في الأرض أصلح بهم، ويسمون شاوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر، ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترك وإخوانهم من التركمان والصقالبة".²

ويقول أيضاً: " وأما من كان معاشهم في الأبل فهم أكثر ظعنًا وأبعد في القفر مجالاً، لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الأبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فراراً من ... إلا أن العرب أبعد نجعة وأشد بدواة لأنهم مختصون بالقيام على الإبل فقط، وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشياه

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 469-471.

² - نفسه، ص 471.

والبقر معها. فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران. والله سبحانه وتعالى أعلم".¹

يرى ابن خلدون أن البدو لا يحتاجون إلى الكماليات لأنهم يعيشون على الغذاء الطبيعي من الزراعة والرعي، ويكتفون بالأشياء الضرورية فقط كالملابس والمساكن، والمزارعون يقيمون في القرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم.

كما يستعمل ابن خلدون مصطلح خشونة البداوة، ويقصد بها الظروف المعيشية القاسية، ومجموع الصفات الجسمانية والخلقية، وأنماط السلوك الفردي والجماعي لأهل البادية، ويقصد بهم البدو الرحل المتنقلون في الأراضي الصحراوية والشبه صحراوية، الذين يقتصرون على الضروري من العيش، ومن صفاتهم الشجاعة والانعزال والاعتماد على النفس وسكنى الخيام.²

3.1.2- البدو أقدم من الحضر والبادية أصل العمران والأمصار مدد لها: يقول: " قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم. ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليهما لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه... فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة. ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها. ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة، وأمكن نفسه إلى قياد المدينة. وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم. والحضري لا يتشوف إلى أحوال البادية إلا لضرورة تدعوه إليها أو لتقصير عن أحوال أهل مدينته".³

¹ عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2، ص 471.

² - محمد عابد، الجابري، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص 440.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص 472.

فالبدو إذن هم الذين يعتمدون على الضروري في أحوالهم عاجزين عما فوقه، فلاشك أن الضروري أقدم من الكمالي وسابق عليه، لأن أول ما يحتاجه الإنسان هو الضروري، ولا ينتهي إلى الكمالي والترف إلا إذا تحقق له الضروري، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة...في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل العصبية.¹

يريد القول أن البدو يقتصرون على الضروريات، وأهل الحضرة يعيشون على الترف والكماليات، فالضروريات أصل والكماليات فرع، لأن الضروري أول مطالب الإنسان، فإذا حصل عليه انتقل إلى طلب الكماليات، والبدو يهاجر إلى الحضرة من أجل العيش في راحة وسكون، أما الحضري فلا يذهب للصحراء إلا للضرورة. والدليل أن أول من يسكن مدينة ناشئة هم البدو الأغنياء، وتتفاوت الفوارق الاجتماعية بين البدو والحضر.

4.1.2- أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة: يقول ابن خلدون: "وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر، قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"... فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضرة أقل بكثير. فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها، فيسهل علاجهم عن علاج الحضرة، وهو ظاهر. وقد يتوضح فيما بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد، ونهاية الشر والبعد عن الخير. فقد تبين أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة. والله يحب المتقين".²

¹ - محمد عابد، الجابري، المرجع السابق، 441.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص 473.

ذكر ابن خلدون على حديث البخاري الذي يروي أن النبي صلى الله عليه وسلم -
أذن لسلمة بن الأكوع في سكن البادية، وقد ورد في ذلك الحديث أن الحجاج بن يوسف
اعترض على سلمة حياته في البادية وقال له: ارتددت على عقبيك .. ورأى ابن خلدون أن
قول الحجاج كان احتجاجاً عليه لأنه ترك السكن في المدينة فقط، وأن الهجرة كانت لنصرة
النبي وليست لذم البادية.

5.1.2- أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر: يقول ابن خلدون: " والسبب في
ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والذعة، وانغمسوا في النعيم والترف
ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية
التي تولت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز... ويتفردون في الفقر
والبيداء، مدلين ببأسهم، واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون
إليها متى دعاهم داع أو استتفرهم صارخ".¹

ويضيف: "وأهل الحضر مهما خالطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر عيال
عليهم لا يملكون معهم شيئاً من أمر أنفسهم. وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي
والجهات وموارد المياه ومشارع السبل...ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً ومملكة وعادة تنزل
منزلة الطبيعة والجبلية. واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيراً صحيحاً. والله يخلق ما يشاء".²

في نظره أن أهل الحضر تعودوا حياة الراحة والترف لأن الحاكم يدافع عنهم بجيشه،
فأصبحوا كالنساء والأطفال في اعتمادهم على الوالدين. أما البدو فيعيشون كالوحوش في
الصحاري والقفار يدافعون عن أنفسهم بالسلاح الذي يحملونه، السلاح ويتوقعون حدوث

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،
2006، ص 476.

² - نفسه، ص 476.

الشر في أي وقت فصارت الشجاعة من طبائعهم الثابتة، أما أهل الحضرة فإنهم يصاحبون البدو لأنهم يحتاجون الحماية منهم.

6.1.2- سكن البادية لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية: يقول ابن خلدون: " اعلم أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾¹، وقال: ﴿فَالْهَمُّهَا فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾². والشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذب الاقتداء بالدين. وعلى ذلك الجم الغفير، إلا من وفقه الله. ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض. فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه ألا أن يصده وازع كما قال: والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم"³

فكرة هذا المقتبس أن دفاعهم يكون برابطة العصبية التي تعود للنسب الواحد الناتج عن العائلة، فالعدو يخشاهم إذا كانوا عصبية، ويؤكد ابن خلدون على مدى جدية الدفاع فيقر أنه لا يصدق دفاعهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد، فبذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، لأن الرابطة العصبية المتماسكة تدخل الرهبة إلى قلب أعدائهم فيمتنع عن العدوان عليهم.⁴

يمكن القول أن التوحش يساهم في عملية حضارية فريدة، رغم التناقض والتناظر الموجود في ظاهره، زيادة على أن العائلة والقرابة يعتبران من الأسباب الذاتية بنشوء الرابطة العصبية، كما أن النمط المعيشي للبدو وما يحتويه من أمن غذائي ودفع للعدوان الخارجي،

¹ - القرآن الكريم، سورة البلد، الآية 10.

² - القرآن الكريم، سورة الشمس، الآية 08.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص ص 479، 480.

⁴ - مصطفى، الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر،

1986، ص 59.

يعتبر من الأسباب الموضوعية لنشوء العصبية وتقويتها، إضافة إلى الأخلاق البدوية التي تعطيها القوة والخشونة، وهي التي تساعد في تأسيس السلطة.¹

2.2- العمران الحضري عند ابن خلدون: المقصود بالحضر عند ابن خلدون هم أهل المدن وأهل الأمصار، فالعمران البدوي هو ما نسميه بعلم الاجتماع الحضري، فقد طرح العالم كلايد ميتشل Clyde Mitchell تعريفاً للحضر ركز فيه على فكرة الانتقال من الريف إلى المدينة وحسبه فالحضر هو تلك العملية التي يصبح الناس بموجبها حضريين، بالانتقال من القرى نحو المدن، والتحول من الزراعة إلى مهن أخرى أكثر ملائمة لحياة المدن، وبصاحب ذلك تغيرات موازية في أنماط السلوك، ويمكن أن نستنتج بعدين رئيسيين هما: التغير باتجاه الحضرية ضمن إطار المدينة، أو التغير بالاتجاه نفسه ولو كان خارج إطار المدينة.²

1.2.2- خصائص المدينة: يقول ابن خلدون: "اعلم أن المدن قرار تتخذها الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة والسكون، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار. ولما كان ذلك للقرار والمأوى، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها: فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة إما على هضبة متوعدة من الجبل، وأما باستدارة بحر أو نهر بها، حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها. ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض. فإن الهواء إذا كان

¹ - أمينة، كرابية، «المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون: دراسة نظرية تحليلية من خلال المقدمة»،

مجلة آفاق فكرية، المجلد 5، العدد 10، ماي 2019، ص ص 147، 148.

² - عزام، إدريس وآخرون، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، الشركة العربية للتسويق، القاهرة، 2010، ص 273.

راكداً خبيثاً، أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو لمناقع متعفنة أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة، وهذا مشاهد".¹

قدم هنا ابن خلدون أفكاراً حول المدن استوحاها من البيئة التي كان يعيش فيها، ومن احتياجات الناس، فهو يرى أن المدن تتخذها الأمم عندما تصل إلى الحد المطلوب من الرفاهية، وتوفر الأشياء التي تحتاجها المدينة، ولعله ترك عبارته مفتوحة حول احتياجات حياة المدينة لعلمه أنها تتبدل وتتغير من عصر إلى عصر، ومن أمة إلى أخرى، وأضاف أنها مكان للرفاهية، وتوفير العيش الرغيد، والأمن والأمان.²

وحول المنافع التي يجب جلبها للمدينة يقول: "وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور: منها الماء، بأن يكون البلد على نهر، أو بإزائها عيون عذبة ثرة. فإن وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة. ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمتهم إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب، ولا بد لها من المرعى. فإذا كان قريباً طيباً، كان ذلك أرفق بحالهم، لما يعانون من المشقة في بعده. ومما يراعى أيضاً المزارع، فإن الزروع هي الأقوات ... ولم يراعوا الماء، ولا المزارع، ولا الحطب، ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف، ولا غير ذلك، كالقيروان. والكوفة والبصرة وأمثالها. ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تراع فيها الأمور الطبيعية".³

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص ص 785، 786.

² - يسار عابدين، «عمران المقدمة...شام الخاتمة»، مجلة فكر، العدد 111، تصدر عن عمدة الثقافة والفنون الجميلة، بيروت، لبنان، 2010، ص 28.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 787.

2.2.2- أنواع التجمعات الحضرية: ويرى ابن خلدون أن التجمعات الحضرية أنواع: فمنها الصغيرة، ومنها المتوسطة، ومنها الكبيرة، ومنها العملاقة التي تجاوز الحد، وأن حجم السكان يعود لعوامل عديدة أهمها: الهجرة والاستيطان، بتأثير عوامل جاذبة كالترف، وإرضاء الحاجات الإنسانية، وتوفر التسهيلات والسلع، وتوافر فرص اقتصادية كالصناعة والتجارة، وتوافر الأمن.¹

3.2.2- الخصائص الاجتماعية للمدينة: يرى ابن خلدون أن البيئة الاجتماعية للمدينة تتصف بما يلي:²

- المصر الكثير العمران تعظم نفقات أهله، ويختص بالغلاء في أسعاره.
- يكثر منهم الشر والفسفة، والتحايل على تحصيل المعاش، وتجدهم أجرياء على الكذب والغش والفجور في الأيمان.
- وقوع الأمراض في أهل الحضر والأمصار أكثر، لخصب عيشهم، وكثرة مآكلهم.
- الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم في الغالب وادعون ساكنون.
- أهل المدن والأمصار أقل شجاعة وحمية لأنهم انغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمر الدفاع عنهم إلى الحامية التي تتولى حراستهم.

4.2.2- قلة المدن والأمصار بإفريقية والمغرب: يقول ابن خلدون: " والسبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر، منذ آلاف من السنين قبل الإسلام، وكان عمرانها كله بدوياً، ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحولها... والصنائع من توابع الحضارة، وإنما تتم المباني بها، فلا بد من الحذق في تعلمها. فلما لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوف إلى

¹ - يسار عابدين، المرجع السابق، ص ص 28، 29.

² - يسار عابدين، نفسه، ص 29.

المباني فضلاً عن المدن. وأيضاً فهم أهل عصبية وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم. والأنساب والعصبية أجنح إلى البدو".¹

ويقول أيضاً: " وإنما يدعو إلى المدن الدعة والسكون، ويصير ساكنها عيالاً على حاميتها، فتجد أهل البدو لذلك يستكفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها. ولا يدعوهم، إلي ذلك إلا الترف والغنى، وقليل ما هو في الناس. فذلك كان عمران إفريقية والمغرب كله أو أكثره بدوياً، أهل خيام وظواعن وقياطن وكنن في الجبال... لأن لحمه النسب أقرب وأشد. فتكون عصبية كذلك، وتنزع بصاحبها إلى سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي يذهب بالبسالة ويصيره عيالاً على غيره، فافهمه وقس عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق".²

ابن خلدون يعلل قلة العمران بإفريقية وبلاد المغرب بأن البربر سكنوها منذ آلاف السنين وكان عمرانها معظمه بدوياً، وحتى الدول التي احتلتهم كالفرنجة والعرب لم يطل مقامهم فيها، وحتى الصنائع فإنها قليلة فيهم لأنها من توابع الحضارة، وكانوا يأنفون سكنى المدينة ويفضلون الخيام والظواعن والقياطن وكنن الجبال لأنهم ذوو عصبية.

3- العلوم و المعارف بالمغرب الإسلامي (من خلال ما ذكره ابن خلدون في المقدمة):
قسم ابن خلدون العلوم حسب فكره ومفهومه إلى نوعين: علوم عقلية طبيعية، وعلوم نقلية وضعية، وذلك في قوله: " اعلم أنّ العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار، تحصيلاً وتعليماً، هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه. والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 799، 800.

² - نفسه، ص 800.

ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي. ولا مجال فيها للعقل، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول... وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات، من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيأوها للإفادة. ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي، الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن¹، ونستعرضها كالتالي:

1.3- العلوم العقلية الوضعية: طبيعي للإنسان من حيث أنه ذو فكر، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم، وللفكر وظيفة أخرى هي تحصيل الإدراكات التي لا يمتلكها، وذلك بالرجوع إلى من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، فيهدي بمداركها البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، ويبحث على الخطأ من الصواب فيها، وتسمى علوم الفلسفة والحكمة.²

ارتبطت الفلسفة والمنطق بأساسات الثقافة والعقيدة الإسلامية، مما حول التعامل بآليات العلوم العقلية والمنطق خصوصاً، إلى مناقشات جدلية، بين آراء رافضة لها بدعوى الزندقة والمروق، ومنا آراء ابن تيمية، وجلال الدين السيوطي، وبعض الفقهاء الذين كانوا ينظرون إلى المنطق بسوء الظن حتى شاع عنهم القول الشهير: من تمنطق تزندق³، كما

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص ص 930، 931.

² - يوسف، عدار، واقعية تصنيف العلوم عند ابن خلدون ومدى ابرازه للتكامل بينها، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 10، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، ص ص 55، 56.

³ - غلام حسين إبراهيم، ديناني، حركة الفكر الفلسفي الإسلامي في العالم الإسلامي، ط1، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص 126.

نجد فتوى ابن الصلاح الشهيرة ضد المنطق، والذي يعتبر المنطق مدخل الفلسفة ومدخل الشر.¹

عكس ابن خلدون الذي وقف موقفا موضوعيا من هذه الإشكالية، فقد صنف العلوم العقلية إلى أربعة أصناف هي: علم المنطق والعلم الطبيعي والعلم الإلهي والعلم الرابع هو علم المقادير الذي يضم الهندسة والحساب (أرتماطيقا) والموسيقى وعلم الهيئة (مواقع الأفلاك وحركاتها).² وصنفها أيضا من حيث طبيعتها وفائدتها فالعلوم الآلية (عقلية) هي العلوم التي تتخذ وسيلة لإتقان سواها من العلوم المفيدة بالذات: نظير اللغة والحساب والمنطق، ويشترط في تعليمها الإيجاز، والتخفيف عن كاهل الطالب قدر الإمكان، والإكتفاء منها بالقدر الذي تحصل به المنفعة المنشودة.³

يقول في هذا السياق: "وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط. ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل، لأن ذلك يخرج بها عن المقصود، إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير. فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغواً، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها. وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم، والعمر يقصر عن تحصيل

¹ - علي سامي، النشر، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط3، دار

النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984، ص 180.

² - حسن الساعاتي، علم الاجتماع الخلدوني: قواعد المنهج، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972، ص ص

1، 2.

³ - كتاب الموسوعة: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، إعداد وتحقيق يوسف فرحات، ط1، الناشر شركة ترادكسيم، التسويق

الشركة الشرقية للطبوعات، جنيف، سويسرا، 1986، ص 206.

الجميع على هذه الصورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لا يغني¹.

ويحذر ابن خلدون المعلمين من أن يفعلوا مثل علماء النحو والمنطق الذين جعلوا من علومهم غاية ذاتية، بقوله: " وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق، لا بل وأصول الفقه، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلاً واستدلالاً وأكثروا من التفاريع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة بذاتها...فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبحروا في شأنها ولا يستكثروا من مسائلها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده. فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل، ورأى من نفسه قياماً بذلك وكفاية به فليختر لنفسه ما شاء من المراقي صعباً أو سهلاً. وكل ميسر لما خلق له".²

1.1.3- أمثلة عن العلوم العقلية عند ابن خلدون.

1.1.1.3- العلوم العددية: وتضم الأرتماطيقا، والحساب، والجبر، والمعاملات، والفرائض، حيث يصفها ابن خلدون بقوله: " وأولها الأرتماطيقا، وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف،...وتقررت في دواوينهم مسائلها. وكذلك ما يحدث للزوج والفرد، وزوج الزوج وزوج الفرد، وزوج الزوج والفرد، فإن لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره".³

2.1.1.3-العلوم الهندسية: وتضم الهندسة العامة، وهندسة الاشكال الكرية والمخروطات، والمساحة، والمناظر، ويقول عنها ابن خلدون: "واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 1114، 1115.

² - نفسه، ص 1115.

³ - نفسه، ص ص 1012، 103.

عقله واستقامة في فكره، لأن براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها... وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين. وأشهر من ألف فيه من الإسلاميين ابن الهيثم. ولغيره فيه الإسلاميين تأليف وهو من هذه العلوم الرياضية وتفايرعها".¹

3.1.1.3- علم المنطق: كانت هناك جدالات واسعة في العالم الإسلامي حول علمي المنطق والفلسفة فكانت نظرة ابن خلدون موضوعية ومستقرة حيث يقول: " وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات، وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس.... فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية: الأول: في الأجناس العالية التي ينتهي إليها تجريد المحسوسات في الذهن، وهي التي ليس فوقها جنس، ويسمى كتاب المقولات".²

لقد قرأ الناس المنطق وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية، بأنه قانون ومعياري للأدلة فقط، وقّع تقويم وإصلاح طريقة المتقدمين من حيث منهجها ومضامينها، والمقصود بالمتقدمين هم: علماء السنة الذين واجهوا كلاً من الإمامية والمجسّمة والمعتزلة.³

2.3- العلوم النقلية الوضعية: تسمى بالعلوم الغائية وتضم الشرع والتفسير وعلوم الطبيعة على اختلافها⁴، وهي علم التفسير وعلم القراءات، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص ص 1016-1019.

² - نفسه، ص ص 1021، 1022.

³ - حمو، النقاري، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2005، ص ص 132، 133.

⁴ - كتاب الموسوعة: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، إعداد وتحقيق يوسف فرحات، ص 206.

الفقه، وعلم العقائد، وعلم الكلام، ويتبع العلوم النقلية: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب، ولبعض هذه العلوم فروع.¹

1.2.3- أمثلة عن العلوم النقلية الوضعية.

1.1.2.3- علوم القرآن من التفسيرات والقراءات: وتضم القراءات ورسم المصحف، والتفسير، حيث يقول ابن خلدون فيها: " القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه، المكتوب بين دفتي المصحف. وهو متواتر بين الأمم، إلا أن الصحابة روه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها أيضاً بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة... وقالوا بتواترها، وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها، كالمدة والتسهيل، لعدم الوقوف على كيفية بالسمع وهو الصحيح".²

2.1.2.3- علوم الحديث: يقول حولها ابن خلدون: "وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة، لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتخفيفاً عنهم، باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها قال تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها"... وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن، وهو بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط. وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبرائتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك".³

¹ - يوسف، عدار، المرجع السابق، ص 56.

² - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 932، 933.

³ - نفسه، ص ص 936، 937.

3.1.2.3- علم الفقه وما يتبعه من الفرائض: يقول في شأنه ابن خلدون: " الفقة هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكره والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقة. وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم... وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما، وهذه كلها ماثرات للخلاف ضرورية الوقوع. ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم".¹

4.1.2.3- علم الكلام: يقول ابن خلدون: " وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد. فلنقدم هنا لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ، ثم نرجع إلى تحقيق علم الكلام وفيما ينظر ونشير إلى حدوثه في الملة، وما دعا إلى وضعه فنقول: إعلم أن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة، وعنهما يتم كونه. وكل واحد من تلك الأسباب حادث أيضاً، فلا بد له من أسباب أخرى. ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها، لا إله إلا هو سبحانه".²

4 - الدواوين والتدوين في القرن الثامن للهجرة من خلال ما ذكره ابن خلدون: هناك من يرى أن الديوان كلمة فارسية، بينما يرى آخرون أنها كلمة عربية مصدرها من الفعل دَوَّن أي سجل وكتب، وللتوضيح أكثر سنتطرق لتعريفها اللغوي والاصطلاحي.

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص 947.

² - نفسه، ص 966.

1.4 - التعريف اللغوي والاصطلاحي:

أ- **الديوان لغة:** الديوان بالفتح: لغة مولدة وقد حكاها سيبويه، وقال إنما صحت الواو في ديوان وإن كانت بعد الياء ولم تعتل لأن الياء في ديوان غير لازمة وإنما هو فعال دونت والدليل على قولهم "دويوين" فدل على ذلك أنه فعال، وإنك إنما أبدلت الواو على ذلك قال: ومن قال عنده ديوان فهو بمنزلة بيطار: وإنما لم تقلب الواو في ديوان وإن كانت قبلها ياء ساكنة، من قبل أن الياء ملازمة وأبدلت من الواو تخفيفاً. والجوهري أرجع أصله إلى دوان فعوض من إحدى الواوين ياء لأنه يجمع على دواوين ولو كانت الواو أصلية لقالوا دياوين.¹ ويقول البستاني: "أصلها يرجع إلى التدوين، فالكلمة في الأصل دَوَان فأبدلت إحدى الواوين ياء، فجمعها: دواوين بحسب الأصل ودياوين بحسب الحال...".²

ب- **الديوان اصطلاحاً:** كان مصطلح ديوان يطلق على جميع مؤسسات الحكم، ومن بينها الوزارات التي اهتمت بتنظيم الجند والاقتصاد والقضاء وغيرها، وهناك العديد من المصادر التاريخية التي أعطت تعاريف جد متقاربة لهذا المصطلح منها:

- قيل "أن الديوان هو الموضع الذي يجلس فيه الكتاب".³
- وقيل كذلك هو اسم الشياطين فسمي الكتاب باسمهم لمقدرتهم وكفاءتهم ثم أرجع لمكان جلوسهم باسم الديوان.⁴

وعليه فالديوان هو السجل الذي تحصي فيه الأسماء كما يعتبر إحدى الأنظمة التي أخذها المسلمون عن الفرس والروم، وجعلوا منه أداة لتنظيم شؤون دولتهم في كافة المجالات السياسية والعسكرية والمالية وغيرها.¹

¹ - محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، مج5، بيروت، 1863، ص 333.

² - بطرس، البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1987، ص 300.

³ - أحمد بن علي، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت، ص 123.

⁴ - فتيحة عبد الفتاح، النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ط14، دار الفكر العربي، القاهرة 2006، ص 83.

2.4- الدواوين في العصور الإسلامية: لقد عرفت الدواوين منذ عهد الخلفاء الراشدين واستمرت بالدول التي حكمت العالم الإسلامي فيما بعد كالأُمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم.

في البداية لم يكن مصطلح الديوان معروف في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد كان له كتاب وقراء من الصحابة رضوان الله عليهم، يدونون له العهود والكتب التي كان يبعث بها للإمبراطوريات المجاورة للدخول في الإسلام، ويقال أن ديوان الإنشاء هو أول ما أنشأ في الإسلام.²

وفي عهد الخلفاء الراشدين كان أبو بكر رضي الله عنه، كانت النواة الأولى لبيت مال المسلمين في عهده، وخلال فترة حكم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اتسعت الفتوحات، مما جعله يأخذ الأساليب الإدارية من الإمبراطوريات المجاورة ويطورها، حيث يقول الطبري: "في السنة الخامسة للهجرة فرض على المسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة في الإسلام"³

وعند انتقال السلطة إلى الأمويين سنة 41هـ بدأت الكتابة تتوسع تدريجياً، لكن الاعتماد كان على كتاب من أصول فارسية ورومية، وعندما تولى عبد الملك بن مروان الحكم قام بتعريب الدواوين في العراق مستعيناً بأشهر الكتاب، ومن بعده قاما ولديه هشام

¹ - فطوم، مسلم وآخرون، نظام الدواوين في العصر العباسي الأول (132-232هـ / 750-847م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2014-2015، ص ص 11، 12.

² - فطوم، مسلم وآخرون، المرجع السابق، ص 12.

³ - محمد ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 613.

ووليد بتعريب الدواوين في مصر وخراسان، إلا أن أصول الكتابة الحقيقية تمت في عهد الخليفة مروان ابن محمد وكان من أشهر كتابه عبد الحميد بن يحيى.¹

وعند انتقال السلطة إلى الخلافة العباسية سنة 132هـ استحدث نظام جديد هو الوزارة حيث أصبح عدد كبير من الكتاب بدرجة وزير، وأصبح التنافس كبيرا بين الكتاب والوزراء، ومن أشهر الكتاب في العصر العباسي هو يحيى البرمكي، في عهد أبو العباس والمهدي وهارون، وأصبحت مؤسسة الكتابة في أوج عظمتها خلال العهد العباسي الأول (132هـ-247هـ)، لأن الخليفة كان صاحب الشخصية القوية، عكس العصر العباسي الثاني (279هـ-289هـ) أين كانت هناك تدخلات كبيرة من البويهيين والسلاجقة حيث أصبح منصب الخليفة تشريفي ديني ليس له أي سلطة سياسية.²

3.4- الكتابة من خلال مقدمة ابن خلدون: لقد تكلم ابن خلدون عن الدواوين في مقدمته خاصا الوزارة، والحجابه، وديوان الأعمال والجبايات، وديوان الرسائل والكتابة، والشرطة، وقيادة الأساطيل.

1.3.4- الوزارة: فابن خلدون هنا يعرف الوزارة ويعدد مهام الوزير بقوله: "الوزارة وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره، وأثقاله، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة...".³

¹ - زين العابدين موسى، الجعفر، «الكتابة الرسمية في صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري»، مجلة آداب البصرة، العدد 5، جامعة كربلاء، 2011، ص 206.

² - زين العابدين موسى، الجعفر، المرجع السابق، ص 206.

³ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 636.

2.3.4- الحجابة: يعرف ابن خلدون الحجابة ثم يسرد دورها في الدول الإسلامية المتعاقبة كالدولة الأموية، والعبيدية، ودولة الموحدين، والدولة الحفصية، والدولة الزناتية بالمغرب، ودولة بني عبد الواد، وفي الأندلس، وفي دولة الترك، وذلك بقوله: " الحجابة قد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتح لهم على قدره في مواقيته. وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسة لها، إذ الوزير متصرف فيها بما يراه. وهكذا كانت، سائر أيام بني العباس، وإلى هذا العهد، فهي بمصر مرؤوسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب...".¹

3.3.4- ديوان الأعمال والجبايات: بعد تعريفه لهذه الوظيفة يقوم ابن خلدون بإعطاء نظرة عليها في كل من عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وفي العراق، وفي الشام، وفي دولة بني أمية بالأندلس، وفي دولة الموحدين، وبنو حفص وغيرهم، قائلاً: " اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومه تلك الأعمال، وقهارة الدولة، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب، لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال، ويسمى ذلك الكتاب بالديوان، وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها...".²

4.3.4-ديوان الرسائل والكتابة: يقول: "هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما في الدول العريقة في البداوة، التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع. وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 440-443.

² - نفسه، ص ص 44-47.

والبلاغة في العبارة عن المقاصد. فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر. وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله، كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق، لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم. فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه.. وكانت عند بني العباس ربيعة. وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة، ويكتب في آخرها اسمه، ويختتم عليها بخاتم السلطان، وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته، يغمس في طين أحمر مذاق بالماء، ويسمى طين الختم، ويطبع به على طرفي السجل عند طيه، وإصاقه...¹.

5.3.4-الشرطة: يقول ابن خلدون حول الشرطة ومهامها ما يلي: "الشرطة ويسمى صاحبها لهذا العهد بإفريقية الحاكم، وفي دولة أهل الأندلس صاحب المدينة، وفي دولة الترك الوالي. وهي وظيفة مرووسة لصاحب السيف في الدولة، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان. وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها أولاً ثم الحدود بعد استيفائها... ونزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليتهم. ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس، إنما كان حكمهم على الدهماء وأهل الريب، والضرب على أيدي الرعاع والفجرة".²

6.3.4-قيادة الأساطيل: يحدثنا ابن خلدون عن الأساطيل ومهامها المختلفة والبحار التي تتحرك فيها وحالتها خلال حكم الدول الإسلامية ببلاد المغرب وإفريقية، بقوله: "وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وإفريقية، ومرووسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال. ويسمى صاحبها في عرفهم المَلْد بتفخيم اللام منقولاً من لغة الأفرنجة فإنه اسمها في اصطلاح لغتهم. وإنما اختصت هذه المرتبة بملك إفريقية والمغرب لأنهما

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب،

2006، ص ص 647-653.

² - نفسه، ص ص 653، 654.

جميعاً على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب، وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبته إلى الإسكندرية إلى الشام... وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسبيطة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة. وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة. وبيعت الأساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لأهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة في القديم والحديث...¹.

- خلاصة الفصل الثالث.

خلاصة القول أن ابن خلدون عالج مواضيع العمران الاجتماعي والفكري والدواوين من خلال المحاور التالية:

- نظرية الغالب والمغلوب: بقوله: "المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"، وذلك على مستوى الأفراد بانقياد النفس إلى من غلبها، كما أعطانا مثال آخر عن تقليد عامة الناس لملوكهم ورضوخهم لهم واعتقادهم بأنهم يتميزون بالكمال.

- العمران البدوي: فالمقصود بالبدو عند ابن خلدون هم أهل القرى وأهل الصحراء، فالعمران البدوي هو ما نسميه بعلم الاجتماع البدوي، فهو يرى أن البدو لا يحتاجون إلى الكماليات لأنهم يعيشون على الغذاء الطبيعي من الزراعة والرعي، ويكتفون بالأشياء الضرورية، وهم أقدم من الحضر والبادية أصل العمران والأمصار، وأقرب إلى الخير من أهل الحضر، وأقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر.

- العمران الحضري: المقصود بالحضر عند ابن خلدون هم أهل المدن وأهل الأمصار، فالعمران البدوي هو ما نسميه بعلم الاجتماع الحضري، فهو يرى أن المدن تتخذها الأمم عندما تصل إلى الحد المطلوب من الرفاهية، وتوفر الأشياء التي تحتاجها المدينة، ويرى ابن أن التجمعات الحضرية أنواع: فمنها الصغيرة، ومنها المتوسطة، ومنها الكبيرة.

¹ - عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المصدر السابق، علي عبد الواحد وافي، ج2، ص ص 654-660.

الفصل الثالث: العمران الاجتماعي و الفكري

- العلوم و المعارف بالمغرب الإسلامي: قسم ابن خلدون العلوم حسب فكره ومفهومه إلى نوعين: علوم عقلية طبيعية، وعلوم نقلية وضعية، وتسمى علوم الفلسفة والحكمة ومنها: وتضم الأرتماطيقا، والحساب، والجبر، والمعاملات، والفرائض، وعلوم نقلية وضعية منها: علم التفسير وعلم القراءات، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه، وعلم العقائد، وعلم الكلام، ويتبع العلوم النقلية: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب.

- الدواوين: عرفت منذ عهد الخلفاء الراشدين واستمرت بالدول التي حكمت العالم الإسلامي فيما بعد كالأمويين والعباسيين وغيرهم، وتكلم عنها ابن خلدون في مقدمته خاصا الوزارة، والحجابه، وديوان الأعمال والجبايات، وديوان الرسائل والكتابة، والشرطة، وقيادة الأساطيل.

الخاتمة

- الخاتمة.

يمكننا أن نستخلص أن ابن خلدون يعتبر من أشهر أعلام المسلمين في علم الاجتماع والتاريخ، حيث ساهمت البيئة التي نشأ فيها، ببلاد المغرب الإسلامي في صقل مواهبه العلمية، وجلت منه عالما ومفكرا وسياسيا بارعا، حيث تنقل بين أقطار المغرب الإسلامي ومصر، وساهم في الحياة العلمية بمؤلفات مرموقة أشهرها كتاب المقدمة، كما يعتبر أول من وضع الأسس العلمية الصحيحة لعلم الاجتماع.

أما فيما يخص العمران السياسي (علم الاجتماع السياسي)، فقد تكلم ابن خلدون عن نظام الحكم وقسمه إلى أربع:

- حكم ذو سياسة عقلية
- حكم ذو سياسة طبيعية
- حكم ذو سياسة مدنية
- حكم ذو سياسة دينية

كما أن الحكم والسياسة حسبه يقومان على أربع دعائم هي:

- دعامة الدين
 - دعامة العصبية
 - دعامة الفضيلة والأخلاق
 - دعامة توازن حدود الدولة ونطاقها مع عدد القائمين عليها
- وأوضح الشروط والطرق الواجب توفرها في اختيار الحاكم أو السلطان.

وفي باب العمران الاقتصادي (علم الاجتماع الاقتصادي)، فقد جاءنا بالكثير من المصطلحات التي لا يزال بعضها مستعملا إلى غاية اليوم، وصنف الاقتصاد كالمغرم أو الجباية والصيد والزراعة، وعرف ببعض الحرف والصنائع التي كانت سائدة في زمانه، كالفلحة والبناء والنجارة والحياسة والخياطة والوراقة.

وفي باب العمران البدوي (علم الاجتماع البدوي)، فمفهومه للبدو هم أهل القرى وأهل الصحراء، فهو يرى أن البدو لا يحتاجون إلى الكماليات لأنهم يعيشون على الغذاء الطبيعي من الزراعة والرعي، ويكتفون بالأشياء الضرورية، وهم أقدم من الحضر والبادية أصل العمران والأمصار، وأقرب إلى الخير من أهل الحضر، وأقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر.

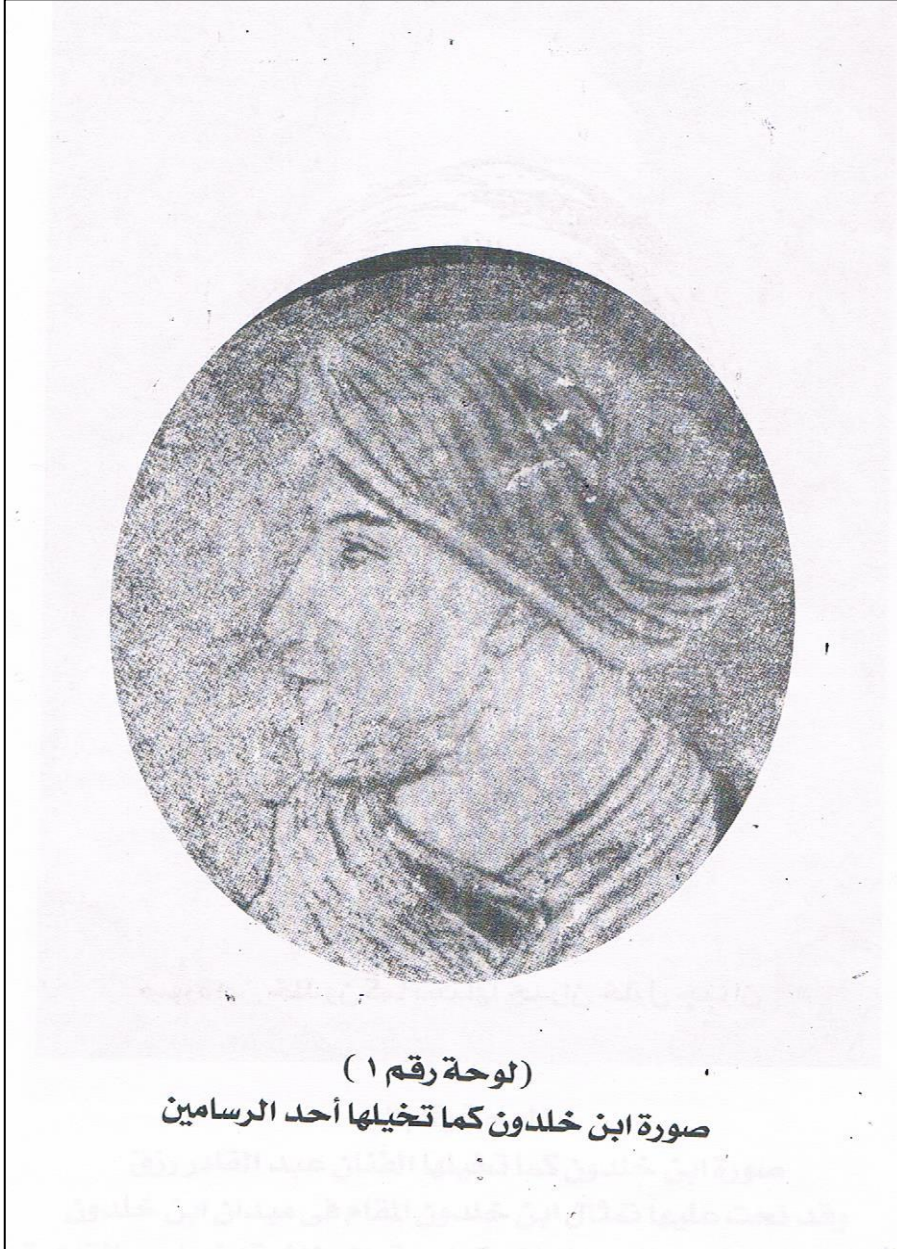
وفي باب العمران الحضري (علم الاجتماع الحضري)، فمفهوم الحضر عنده هم أهل المدن والأمصار، فهو يرى أن المدن تتخذها الأمم عندما تصل إلى الحد المطلوب من الرفاهية، وتوفر الأشياء التي تحتاجها المدينة، وقسم التجمعات الحضرية إلى ثلاثة أنواع: هي الصغيرة، والمتوسطة، والكبيرة.

أما العلوم و المعارف فقسمها إلى نوعين: علوم عقلية طبيعية، وعلوم نقلية وضعية، وتسمى علوم الفلسفة والحكمة ومنها: وتضم الأرتماطيقا، والحساب، والجبر، والمعاملات، والفرائض، وعلوم نقلية وضعية منها: علم التفسير وعلم القراءات، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه، وعلم العقائد، وعلم الكلام، ويتبع العلوم النقلية: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب.

كما جاء ابن خلدون بالنظرية المعروفة بنظرية الغالب والمغلوب، حيث يرى أن المغلوب مولع بتقليد الغالب، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى عامة الناس لأنهم يقلدون ملوكهم ويرضخون لهم لأنهم يعتقدون أنهم يتميزون بالكمال.

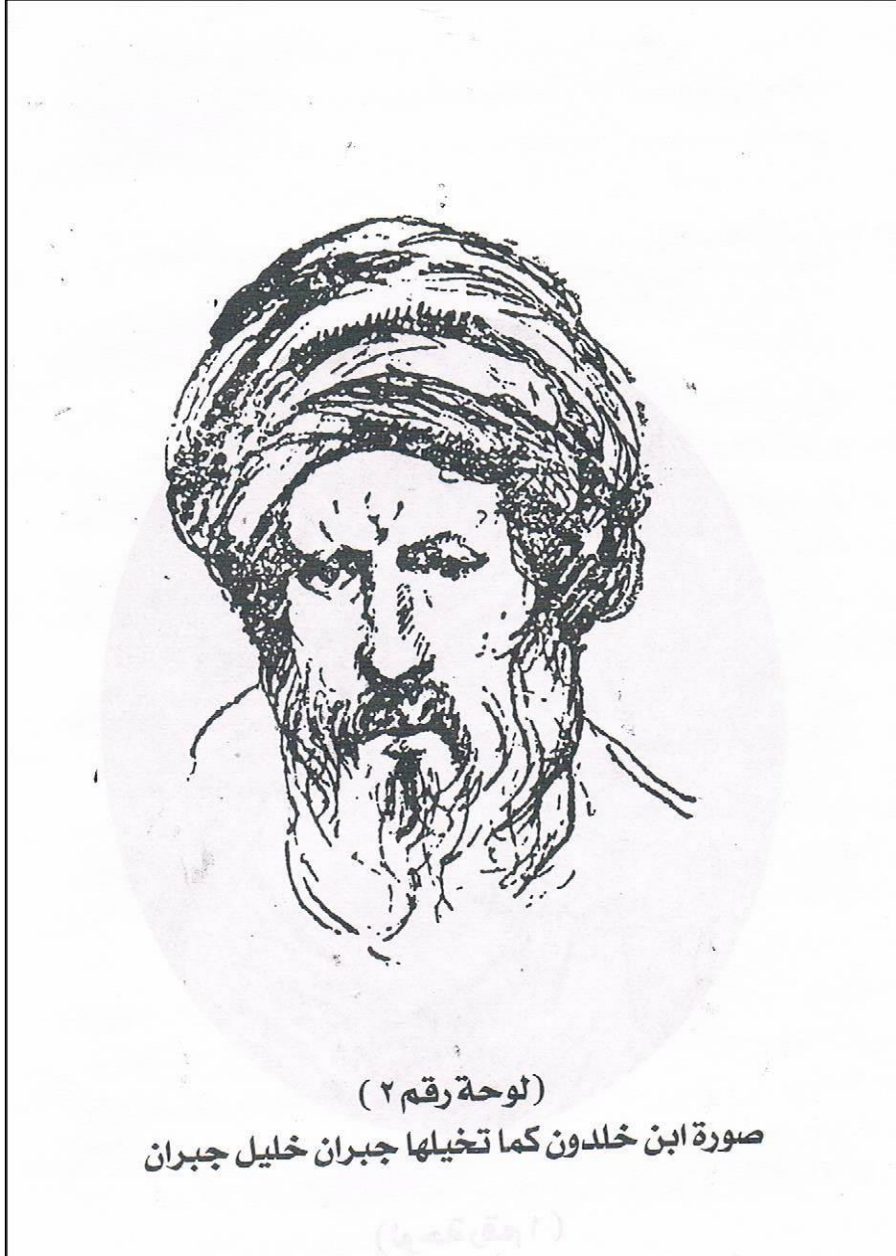
أما فيما يخص التنظيم الإداري الذي كان سائدا في عهد ابن خلدون فقد أعطانا صورة واضحة حوله، من خلال كلامه في مقدمته عن الوزارة، والحجابه، وديوان الأعمال والجبايات، وديوان الرسائل والكتابة، والشرطة، وقيادة الأساطيل.

الملاحق



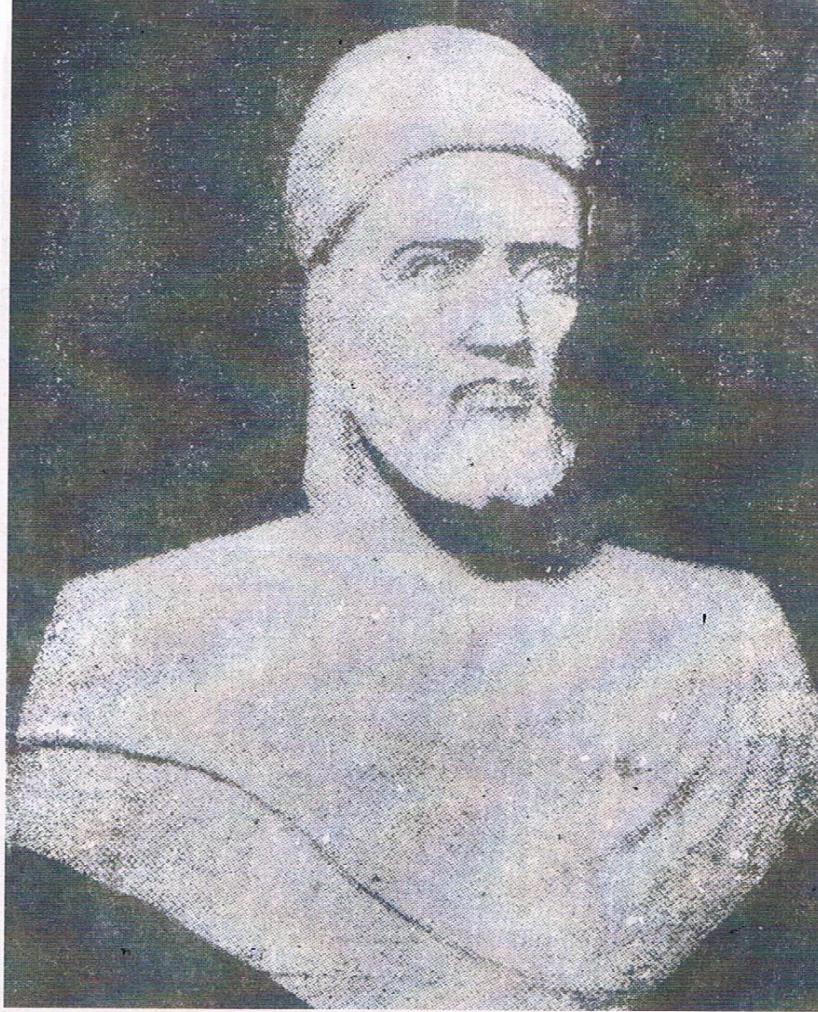
الصورة رقم 01: ابن خلدون كما تخيله أحد الرسامين

المصدر: ابن خلدون، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، 2006، ج1، ص 3.



الصورة رقم 02: ابن خلدون كما تخيله جبران خليل جبران

المصدر: ابن خلدون، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، 2006، ج1، ص 4.



(لوحة رقم ٣)

صورة ابن خلدون كما تخيلها الفنان عبد القادر رزق
وقد نحت عليها تمثال ابن خلدون المقام في ميدان ابن خلدون
أمام المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بضواحي القاهرة

الصورة رقم 03: ابن خلدون كما تخيله الفنان عبد الله رزق

المصدر: ابن خلدون، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، 2006، ج1، ص 5.

فاجز البصراع من اختصاره عشق بدم
لا ربحه التاسع والعشرون لغير عام اثين
وتحير وسبع مائة وكتب مصنف الميفر
الى استغنى عن العز بن محمد بن خلدون الحفري

مدح طوب التاريخ المقيم ارتحل من الغزب والتفر شهور لنك
بالشغل وشفع بيم يشقته ثم عزم به من ظلمه وكان في السطر
كان في السطر طاب وآية فاسن ثم طاب لمساكن ثم ط
حب نويسر وقل مصر وولي بها النقط اعز في مصر لا يجر
ولكن لا يفتقر على حالة وله في كاذب اليو ايضا فقلب
عليه بالقيمة واشتهر به وله مع ابن الخليل الكات المصنف
مكاشفة لارضية ايدانت عن سلامة لبعده وجوده منه
وفوق جميعه ورنه لميله واختصاره من ابا ماسر به كتب
صهر الله ريدان اسم الموصر الحصري خاتمه بجانية له

لوحة رقم (٩)

الصفحة الأخيرة من كتاب لباب المحصل، وفيها تاريخ كتابته
ويليه كلمة عن ابن خلدون مكتوبة بخط مولاي زيدان سلطان مراکش:
وقد كان الكتاب ملكاً له

الصورة رقم 07: الصفحة الأخيرة من كتاب لباب المحصل

المصدر: ابن خلدون، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، 2006، ج1، ص 448.

قائمة المصادر

والمراجع

أ- القرآن الكريم

ب- الحديث النبوي الشريف

- الجامع المسند المشهور بصحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رقم 3268.

ج- قائمة المصادر والمراجع.

1- المصادر:

- ابن تغرى بردي، أبو المحاسن جمال الدين، المنهل الصافي، نسخة دار الكتب المصرية الخطية، رقم 113، تاريخ، ج2.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، ج1 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 2006.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1979.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ضبطها وشرحها، علي عبد الواحد وافي، ج2 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 1424هـ/2004م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، ج1، دار صادر، بيروت، د.ت.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج1.
- الطبري، محمد ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1970.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط، ج4، دار الجيل بيروت، بيروت، 1980.

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.
- الماوردي، علي ابن الحسن بن حبيب، أدب الدنيا والدين، تحقيق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، ط4، بيروت، 1405هـ/1985م.
- الماوردي، علي ابن الحسن بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1403هـ/1983م.
- الماوردي، علي ابن الحسن بن حبيب، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محيي هلال السرحان، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 149. أنظر ابن خلدون: المقدمة.

2- المراجع:

- إدريس، عزام، وآخرون، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، الشركة العربية للتسويق، القاهرة، 2010.
- البياتي، حسن قاسم، رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، ط1، دار العلم، بيروت، 1414هـ/1993م.
- الجابري، محمد عابد، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.
- ديناني، غلام حسين إبراهيم، حركة الفكر الفلسفي الإسلامي في العالم الإسلامي، ط1، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.
- الساعاتي، حسن، علم الاجتماع الخلدوني: قواعد المنهج، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972.
- ساعاتي، حسن، علم الاجتماع الخلدوني، قواعد المنهج، ط2، دار المعارف، مصر، 1973.

- سعد، خير الله، وراقو بغداد في العصر العباسي، ط1، رياض، 1421هـ/2002م.
 - الشكعة، مصطفى، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1986.
 - الشكعة، مصطفى، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د.ت.
 - عكة، محمد إبراهيم أحمد، أثر شخصية ابن خلدون في إبداع علم العمران، جامعة فلسطين الأهلية، د.ت.
 - عنان، محمد عبد الله، ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري، ط2.
 - الفوال، صلاح مصطفى، علم الاجتماع البدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د.ت.
 - مزيان، عبد المجيد، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي-دراسة فلسفية واجتماعي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
 - النبراوي، فتيحة عبد الفتاح، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ط14، دار الفكر العربي، القاهرة 2006.
 - النشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984.
 - النقاري، حمو، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2005.
- 3- المجالات والدوريات:**
- بوحسون، العربي، «علامات الإنحطاط الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع المغربي خلال القرن 14م عند ابن خلدون: تحليل مشكلات الفائض الاقتصادي»، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 5، العدد2، جامعة تلمسان.

- الجعفر، زين العابدين موسى، «الكتابة الرسمية في صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري»، مجلة آداب البصرة، العدد 5، جامعة كربلاء، 2011.
- داودي، الطيب، «نظرية الإنتاج عند ابن خلدون (دراسة مقارنة)»، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 19، جامعة منتوري قسنطينة 2003.
- عابدين، يسار، «عمران المقدمة...شام الخاتمة»، مجلة فكر، العدد 111، تصدر عن عمدة الثقافة والفنون الجميلة، بيروت، لبنان، 2010.
- عدار، يوسف، «واقعية تصنيف العلوم عند ابن خلدون ومدى ابرازه للتكامل بينها»، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 10، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1.
- عزوز، عبد الناصر وفكرون، السعيد، «حقيقة علم العمران البشري عند ابن خلدون»، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، العدد 02، جويلية 2012.
- كرابية، أمينة، «المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون: دراسة نظرية تحليلية من خلال المقدمة»، مجلة آفاق فكرية، المجلد 5، العدد 10، ماي 2019.
- 4- المعاجم والموسوعات:**
 - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مج5، بيروت، 1863.
 - البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1987.
 - كتاب الموسوعة: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، إعداد وتحقيق يوسف فرحات، ط1، الناشر شركة ترادكسيم، التسويق الشركة الشرقية للمطبوعات، جنيف، سويسرا، 1986.
 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960.

5- الملتقيات والمؤتمرات:

- بونابي، الطاهر، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال كتب المناقب، الملتقى الوطني حول الحرف والمهن في المغرب الأوسط، المنعقد يومي 10 و 11 أفريل 2012، بجامعة بسكرة.
- موسى، نعيم هدهود حسين، فقه العلامة ابن خلدون في الخلافة والإمامة، بحث مقدم لمؤتمر ابن خلدون علامة الشرق والغرب، المنعقد بكلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 1433هـ/2012م.

6- الرسائل الجامعية:

- مسلم، فطوم، وآخرون، نظام الدواوين في العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، 2014-2015.

فهرس

الموضوعات

الفصل الأول

ترجمة ابن خلدون ومفهوم العمران

تمهيد	8
1-التعريف بابن خلدون	8
1.2.1-وظائفه ونشاطه في المغربين الأدنى والأوسط (751-755هـ)	10
3.2.1-وظائفه الديوانية والسياسية بالمغرب الأقصى قبل رحلته الأولى إلى الأندلس(755-764هـ)	10
4.2.1- رحلته الأولى إلى الأندلس ونشاطه فيها (764-766هـ)	11
5.2.1- نشاطه السياسي في المغرب (766-776هـ)	12
6.2.1- رحلته الثانية إلى الأندلس (776هـ)	12
3-المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف (776-784هـ/1374-1382م)	13
4-المرحلة الرابعة: وظائف التدريس والقضاء	13
1.4.1-تتقيح الكتاب في تونس وإهدائه للسلطان أبي العباس (780-784هـ)	14
2.4.1- تدريسه في الأزهر وفي المدرسة القمحية (784-786هـ)	14
3.4.1- توليه مناصب القضاء وزيارته لمكة وبيت المقدس	15
4.4.1- ولاية الدروس والخوانق	16
-خلاصة الفصل الأول	20

الفصل الثاني

العمران السياسي والاقتصادي

تمهيد	22
1- خطط الخلافة الإسلامية	22
1.1- ماهية الخطط	22
2.1- ماهية الخلافة	22
2- علاقة السلطان بالعمران	26
1.2- وجوب إقامة الخلافة	27
2.2- طريقة اختيار السلطان أو الخليفة	27
3.2- شروط اختيار السلطان أو الخليفة	28
4.2- واجبات السلطان أو الخليفة	28
3- أثر سياسة الدولة على العمران الاقتصادي	29
1.3- المصطلحات الاقتصادية عند ابن خلدون	29
2.3- أصناف الاقتصاد عند ابن خلدون	30
1.2.3- المغرم أو الجباية: يقول ابن خلدون	30
2.2.3- الصيد وتربية الحيوانات	31
3.2.3- الفلاحة	31
4.2.3- الصناعة والخدمات	32
5.2.3- التجارة	33
4- عوامل الإنتاج عند ابن خلدون	33
1.4- العمل الإنساني عند ابن خلدون	33

35.....	2.4- الموارد الطبيعية
35.....	1.2.4- منشأ الموارد الطبيعية
35.....	2.2.4- توفر الجهد البشري لاستخدام الموارد الطبيعية
35.....	3.2.4- توفر رأس المال
35.....	5- الحرف والصنائع عند ابن خلدون
36.....	1.5- ماهية الحرفة أو الصناعة
36.....	1.1.5- لغة: الحرفة
36.....	2.1.5- اصطلاحا
37.....	2.5- أمهات الصنائع عند ابن خلدون
37.....	1.2.5- صناعة الفلاحة
38.....	2.2.5- صناعة البناء
38.....	3.2.5- صناعة النجارة
39.....	4.2.5- صناعة الحياكة والخياطة
39.....	5.2.5- صناعة الكتابة
40.....	6.2.5- صناعة الوراقة
41.....	- خلاصة الفصل الثاني

الفصل الثالث

العمران الاجتماعي والفكري

43.....	تمهيد
43.....	1- نظرية الغالب و المغلوب

44.....	2- العمران و طبيعة المجتمع (البدو والحضر)
44.....	1.2- العمران البدوي عند ابن خلدون
44.....	1.1.2- أجيال البدو والحضر طبيعية
45.....	2.1.2- جيل العرب في الخلقة طبيعي
46.....	3.1.2- البدو أقدم من الحضر والبادية أصل العمران والأمصار مدد لها
47.....	4.1.2- أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر
48.....	5.1.2- أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر
49.....	6.1.2- سكن البادية لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية
50.....	2.2- العمران الحضري عند ابن خلدون
50.....	1.2.2- خصائص المدينة
52.....	2.2.2- أنواع التجمعات الحضرية
52.....	3.2.2- الخصائص الاجتماعية للمدينة
52.....	4.2.2- قلة المدن والأمصار بإفريقية والمغرب
53.....	3- العلوم و المعارف بالمغرب الإسلامي
54.....	1.3- العلوم العقلية الوضعية
56.....	1.1.3- أمثلة عن العلوم العقلية عند ابن خلدون
56.....	1.1.1.3- العلوم العددية
56.....	2.1.1.3- العلوم الهندسية
57.....	3.1.1.3- علم المنطق
57.....	2.3- العلوم النقلية الوضعية
58.....	1.2.3- أمثلة عن العلوم النقلية الوضعية
58.....	1.1.2.3- علوم القرآن من التفسيرات والقراءات

58.....	2.1.2.3-علوم الحديث
59.....	3.1.2.3-علم الفقه وما يتبعه من الفرائض
59.....	4.1.2.3-علم الكلام
59.....	4 - الدواوين والتدوين في القرن الثامن للهجرة من خلال ما ذكره ابن خلدون
60.....	1.4- التعريف اللغوي والاصطلاحي
61.....	2.4- الدواوين في العصور الإسلامية
62.....	3.4- الكتابة من خلال مقدمة ابن خلدون
62.....	1.3.4- الوزارة
62.....	2.3.4- الحجابة
63.....	3.3.4- ديوان الأعمال والجبايات
63.....	4.3.4-ديوان الرسائل والكتابة
64.....	5.3.4-الشرطة
64.....	6.3.4-قيادة الأساطيل
65.....	- خلاصة الفصل الثالث
68.....	- الخاتمة
71.....	الملاحق
76.....	قائمة المصادر والمراجع
82.....	فهرس الموضوعات